أدب الحـوار

فـــي

الاســـلام

سـيف الدين شـاهين

٢١٣ شاهين، سيف الدين حسين.
٦١٥ش أدب الحوار في الإسلام/ سيف الدين حسين شاهين. - ط ١. -
الريـاض: دار الأفق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١٧٦ص؛ ١٧ × ٢٤ سم.
ردمك: ٦ - ٦ - ٩٠٠٢ - ٩٩٦٠
١ - الدعوة الإسلامية ٢ - الجـــدل.
٣ - الأخـــلاق
أ - العنـــوان.

رقم الإيداع: ١٤/٠٧٠١
ردمك: ٦ - ٦ - ٩٠٠٢ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الأول

الباب الثاني

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع

المقـدمة

الحمد لله الذي: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

ففيه تبيان لكل شيء، وهو (دستور) المسلمين وحبل الله المتين وعروته الوثقىٰ لا انفصام لها، من استمسك بها لن يضل أبداً.

والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد الذي أرسله رب العزة شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً. **أمـا بعد:**

فإنَّ الدعوة إلى الله تعالى وإلى كتابه العظيم القرآن الكريم وتبليغ رسالته وتحكيم شريعته [1] هي وظيفة من أعظم الوظائف ومهمة من أهم المهمات كلف الله تعالى بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وعلى أتباعهم أجمعين.

هذه المهمة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها [2] وهي أشرف منزلة وأعلى وظيفة وأرفع مكانة وأثقل مسؤولية حملها الإنسان وأنبل أمانة تعهدها بعد أن أشفق عليه بها ربُّ العزة والجلال في قوله[3]: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

---

(١) ذلك قول الله تعالى في ثلاث أيات من سورة المائدة.
﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون[٤٤]﴾
﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون[٤٥]﴾.
﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون[٤٧]﴾.
(٢) ذلك قول الله العظيم في سورة مريم:
﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا ترجعون[٤٠]﴾
(٣) انظر سورة الأحزاب الآية رقم (٧٢).

وقد قام محمد بن عبد الله [ﷺ](١) خير قيام وجاهد من أجل ذلك خير جهاد وبلَّغ الرسالة أجمل تبليغ وصبر على ذلك وتحمل المشاق والأذى الشديد غير مبال بما ناله ـ وصحبه الكرام ـ من أذى المشركين وعدائهم وعنادهم ولا ملتفت إلى وعودهم وإغراءاتهم الزائفة ووعيدهم المنكر.

قال عزَّ من قائل:

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾(٢)

ولم يزل على ذلك [ﷺ] حتى أتاه اليقين وأكمل الله به النعمة وأقام الدين.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(٣)

ثم جاء بعده خلفاؤه فاضطلعوا بهذا الأمر وساروا على شريعته ومنهاجه(٤) واتبعوها فكان لهم النصر والظفر رغم قوة قادة الكفر وعبَّاد والأصنام وكثرتهم الكاثرة فتحقق وعد الله ونصره بقوله في القرآن العظيم. ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾(٥)

---

(١) قال الله تعالى في سورة الأنبياء:
﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين(١٠٧)﴾.
(٢) انظر سورة الأحزاب الآية رقم (٣٩).
(٣) انظر سورة المائدة الآية رقم (٣).
(٤) قال الله عز وجل في سورة الجاثية:
﴿ثمَّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها(١٨)﴾.
وقال في سورة المائدة:
﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً(٤٨)﴾.
(٥) انظر سورة غافر الآية رقم (٥١).

قال بيكتول:

«القرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم ومكنهم من إنشاء امبراطورية فاقت امبـراطورية اسكندر الكبير والامبراطورية الرومانية سعة وقوة وحضارة وعمراناً ودواماً»[1].

ثمُّ قيض الله لهـذا الدين العالمي الذي قام بالدعوة إلى الأمن والسلام وحب الناس كل الناس قيض له أنصاراً من شعوب شتى وأمم مختلفة في كل الأقطار والأمصار والبلاد كانوا نبراساً للدعاة ينافحون عن الإسلام ويذبون عن حياضـه ويدعـون إلى اعتناقه بالحكمة واللين بلا اكراه يبرون من خالفهم ويقسـطون إليهم ويقاتلون من قاتلهم جهاداً في سبيل الدعوة إلى الإسلام ودفاعاً عن النفس لحفظ النوع لايخافون في الله لومة لائم.

قال ربُّ العزة والجلال في محكم أياته: [2] ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

لقد تربوا على فهم معنى الحرية والأمن والحب والسلام والبر بمن خالفهم فحفظوا أموالهم ودماءهم وأعراضهم وقاموا بالإحسان إليهم والبر بهم والنصح والتوجيه والإرشاد والتعليم لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد.

إن أولئـك الدعاة ضربوا أروع الأمثلة بالدعوة إلى الإسلام ونشر عقيدة التوحيد فكان ذلك نبراساً للدعاة وكنزاً للدعوة لا ينضب معينه ولا تزال أمة الإسلام بهذا القرآن محفوظة إلى ما شاء الله إلى أن يرث الله الأرض ومن

---

(١) انظر محمد نمر الخطيب كتابه مرشد الدعاة ص ٩٣ الطبعة الأولى منشورات دار المعرفة بيروت.
(٢) انظر سورة الممتحنة الآية رقم (٨).
(٣) نفس السورة الآية رقم (٩).

عليها قال تعالى : [1]

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾

إنَّ جهاد محمد بن عبد الله [ﷺ] وجهاد أصحابه وخلفائه ومن جاء بعدهم يعطينا صوراً مشرقة تعد أعظم مثل يحتذىٰ وأكبر حافز لمواصلة المسير في الدعوة إلى الله العظيم إلى نشر دينه العالمي، دين الأمن والحرية والسلام، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر بالحوار المتبادل بين المسلمين وغيرهم بأسلوب تربوي رفيع تتعدد صوره وأشكاله بتعدد وسائله وجوانبه وأطرافه وطرقه.

لقد أدرك السلف الصالح من الدعاة إلى الله من هذه الأمة ما يجب عليهم وما يفترض فيهم من القيام بنشر تعاليم الإسلام الحنيف التي تدعو إلى الحرية والأمان والمحبة والسلام بكل وسيلة من الوسائل الممكنة توجيهاً وإرشاداً وتعليماً وبث الدعاة وبعثها من الرجال والنساء وإرسال الرسائل والكتب والنشرات لهذا كله ارتفعت راية الإسلام راية التوحيد، عالية خفاقة في كل عصر ومصر وفي كل بلد وقطر، إنه لشيء يفوق الوصف ويذهل العقول أن نرى راية الإسلام راية التوحيد والسلام ترفرف في الصين، في الهند، في كل مكان.

قال العلامة الشيخ محمد الدريعي :

«كان الإسلام لبناء دولة ونشر دعوة وإعلاء راية لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا عصبية لعرق ولا لوطن ولا لجنس بل إخاء كل الإخاء. فمن كان يريد أن تنتشر دعوة الإسلام فليبق على هذا الإخاء.

---

(١) انظر سورة الحجر الآية رقم (٩).

ومن كان يريد بناء دولة الاسلام فليبق على هذا الإخاء.

ومن كان يريد إعلاء راية الإسلام فليبق على هذا الإخاء». [1]

إن سرَّ ذلك واضح جلي في نفوس أهل العلم ورجال الفكر من علماء المسلمين فنحن خلف لسلف أئمة ديننا الحنيف نعلو به ونكافح من أجله ونذب عن حياضه.

لقد كان المسلمون الأوائل سلف هذه الأمة أمة الرحمة المهداة من رب العالمين إلى الأمم والشعوب كافة دعاة خير ومحبة وهداية وسلام حاملي مصابيح النور تضيء الطريق للسالكين فيه.

قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [2]

نعم لقد كان المسلمون الأوائل يدعون بعلم وبصيرة إلى دين النور دين واضح المعالم يحقق السعادة للناس كل الناس مؤمنهم وكافرهم لافرق بين أبيضهم وأسودهم لأنهم عرفوا وفهموا معنى الأثر: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

نعم إنهم يدعون بعلم وبصيرة إلى دين يحقق الأمن والحياة الكريمة لكل الخلق يبشرونهم أن لهم في الآخرة جنات عرضها كعرض السموات والأرض

---

(١) من خطبة جمعة ألقاها الشيخ العلامة محمد الدريعي في ١٤١٣/٩/١٧هـ في جامع الخيرية في الرياض.

(٢) انظر سورة النور الآية رقم (٣٥).

أعدت لمن آمن بأن الله واحد لاشريك له إلهٰ متفرد بالوحدانية متفرد بالربوبية متفرد بالألوهية، متفرد بالعبودية ويحذرونهم من عذاب أشد من عذاب الدنيا عذاب نار جهنم لمن عبد الأوثان والأصنام وعبد الطاغوت كل ذلك حباً في الخير لخلق الله وخوفاً عليهم من العذاب الأليم والخلود في نار الجحيم.

وكان من أسباب نجاح هذه الدعوة أن الداعي كان عالماً بما يدعو إليه حسن السيرة والسلوك حسن الأسلوب فصيح اللسان واضح البيان قوي الحجة بالدليل والبرهان عالماً بصيراً كيساً فطناً حليماً صبوراً يصبر على ما يلاقيه من أذى وكـان من أسباب ذلك أيضاً اتصاف الداعي بالأعمال الحسنة وتحليه بالأخلاق الكريمة.

كل هذه الفضائل كانت من أقوى الأسباب والدوافع التي أدت إلى نشر الإسلام دين السلام وبث تعاليمه وبعثها في النفوس وهذا ما يجب علينا نحن دعاة اليوم أن ندرك ويدركه المسلمون جميعاً في أصقاع الدنيا في هذا العصر الـذي طغت فيه المادية الفاجرة وبغى فيه الإلحاد السافر الماكر وتفنن في أشكاله وألوانه وطرق بثه وبعثه في النفوس نفوس الأصدقاء قبل الأعداء من المسلمين وغير المسلمين وإغراق العالم كل العالم في خضم أمواج متلاطمة من المفاسد وفي بحر لا قرار له من الفتن وسيل عارم جارف من الهرج والمرج.

إنَّ الجهل بتعاليم هذا الدين العالمي وعالمية تعاليمه السامقة ومخالفة ما جاء به الصادق الأمين لهو من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف المسلمين وانحطاطهم؛ بذلك خسر العالم كله وضاعت أجزاء عزيزة من بلاد المسلمين وأوطانهم.

لقـد ضاعت بلاد الأنـدلس العـزيزة وضـاعت فلسـطين الحبيبة وأحرق المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين مسرى الرسول محمد بن عبد الله

[ﷺ].

لذا وجب علينا نحن الدعاة اليوم أن نجتهد ونجهد أنفسنا في الدعوة إلى الله ونشر تعاليم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (١)

وكذلك وجب علينا أن نكون قدوة حسنة صالحة يُقتفى أثرها سواء كان ذلك من المسلمين الذين أصبحوا غرباء عن دينهم أو غير المسلمين المغرر بهم.

من أجل ذلك كله شرعت في تأليف كتابي هذا وتحدثت فيه عن:

- أهمية الدعوة.
- طرق الدعوة.
- وسائل الدعوة.
- الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية وخاصة ما يتعلق بالحوار المتبادل البناء المثمر من غير عنف أو سفسطة.
- ثم تحدثت فيه عن التربية الإسلامية لأن الدعوة إلى الإسلام هي في حد ذاتها دعوة وتربية فهذه الدعوة وتلك التربية لها وسائل وطرق وغايات ولما كانت الدعوة إلى الله دعوة عالمية غايتها الأولى دعوة العالمين جميعاً إلى الإيمان بأنَّ الله واحد لاشريك له وتحريرهم من عبادة العباد إلى عبادة الواحد القهار رحمة بالعالمين جميعاً لقوله تبارك وتعالى في محكم التنزيل مخاطباً محمداً [ﷺ]:

---

(١) انظر سورة النحل الآية رقم (١٢٥).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١)

إن الـدعوة مطلوبة من المسلمين عامة ولاسيَّما من رجال الفكر وعلماء الإسلام وطلاب العلم لتحقيق تلك الغاية النبيلة ونشر تعاليم الاسلام العالمية لتعم الرحمة جميع سكان الأرض. وتحقيق الخير لهذه الأمة العظيمة

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٢)

ثم أوضحت فيه أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبينت طريقة الهادي البشير كيف كانت دعوته وأشرت إلى توجيه رب العزَّة والجلال رسوله الأمين إلى تلك المثل الفاضلة النبيلة.

فقال الله تعالى مخاطباً محمداً ﷺ.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ (٣)

«أي يا محمد ما أنت على الناس بمسلط تجبرهم وتقهرهم على الإيمان ذلك تطمين للرسول محمد [ﷺ] أنه غير مسؤول عن عدم اهتدائهم لأنه إنَّما بُعِثَ داعياً مذكراً»(٤).

فالدين الإسلامي ليس حكراً موقوفاً على رجال من المتفيقهة هذا يكفر بعضاً من النـاس ويدخلهم نار جهنم وذاك يلبسهم ثوب العـابد المتنسك ويمنحهم جنات عرضها السموات والأرض لا وألف لا. الله الله عباد الله اتقوا الله في عباده.

---

(١) انظر سورة الأنبياء الآية رقم (١٠٧).

(٢) انظر سورة آل عمران الآية رقم (١١٠).

(٣) انظر سورة ق الآية رقم (٤٥).

(٤) انظر محمد مفيد بن عزة الخيمي كتابه عقيدة البعث والنشور في سورة ق ط (١) ص ٣٤ منشورات مؤسسة الخافقين ومكتباتها دمشق / الدولية الرياض.

إن الداعية صورةٌ للأخلاق حية وصورةٌ للمثل العليا وضاءة تتجسد فيه.

- ثم ضربت أمثلة حية على ذلك من خلال سننه [ﷺ] القولية والفعلية كيف تجسدت في حياته [ﷺ] وحياة صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.
- ثم عرضت صوراً من دعوة السلف الصالح من التابعين وتابعي التابعين من هذه الأمة العملاقة رضي الله عنهم وأجزل لهم المثوبة وأدخلهم جنات النعيم وجعلهم على سرر متقابلين إنَّه جواد كريم. إنها محاولة جادة أسأل الله العلي الأعلى أن يجعلها مثمرة قطوفها دانية لينتفع بها عامة المسلمين وخاصتهم.

فهي جهد حسبي فيه أنني أردت خدمة الدعوة والدعاة لرفعة أمتي ونشر تعاليم ديني

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾(١)

وذلك من خلال كتابه العزيز الذي يعد مصدراً من مصادر المسلمين الرئيسة في الدعوة والارشاد والتقنين واقتداءً بسنة أبينا إبراهيم الخليل [ﷺ] واتباعاً لسنة نبينا محمد [ﷺ] رسول الأمن والمحبة والسلام.

وإنني أقدمت على طبعه ونشره وتوزيعه ليكون نبراساً وهدياً للإخوه القراء لمن أراد أن يسلك هذا الطريق راجياً المولى العلي القدير أن يعينهم على فهم أبوابه.

كما أسأله تعالى أن ينفعني به يوم الدين وأن ينتفع به من قرأه وعمل به.

وإنني:

أستغفر الله تعالى مما زلت به القدم أو طغى به القلم، واستغفر الله تعالى من أقوالي التي لاتوافق أفعالي وأعمالي، واستغفر الله تعالى من كل علم أو

(١) انظر سورة الصف الآية رقم (٩).

عمل أدعيته ولم أقصد به وجه ربي الأعلى . واستغفر الله تعالى من كل نعمة أنعمها علي ربي واستعملتها في غير طاعته، إنه كريم رحيم جواد وليس لي وسيلة إليه إلا فضله وكرمه ورحمته وجوده .

وصلى الله على محمد بن عبد الله إمام الدعاة وعلى آله وصحبه ممن سلك سلوكه ودعا بدعوته إلى يوم البعث والنشور.

سيف الدين بن حسين شاهين

الاختــلاف

الاختــلاف

تمهيــد:

في هذا البـاب سوف أتحدث عن الاختلاف، أسبابه ومجالاته وأنواعه وطـرق الـوقاية والعلاج اعتقاداً مني أن الاختلاف بين المسلمين هو سبب ضعفهم وضياعهم.

ولا أقصد بالطبع الاختلاف في الأجناس والألوان والألسنة بل إنَّما أقصد اختلافهم في الفهم وإتباعهم للهوى.

وسوف أتحدث فيه أيضاً عن المسؤولية وأقصد بالمسؤولية مسؤولية الفرد المسلم تجاه أخيه المسلم وتجاه أخيه الإنسان .

البـاب الأول

الاختــلاف وأسـبابه .

الاختــلاف ومجـالاته .

الاختــلاف وأنـواعه .

الوقاية وطرق العـلاج .

الثوابت سنن كونية لايصنعها الإنسان بل هي من صنع خالق الإنسان وإذا كان الله سبحانه وتعالى خالق الناس خلق الخلق على درجات مختلفة متفاوتة في بنـاء الجسم والعقـل والفهم والإدراك فجعل منهم من هو سريع الفهم والإدراك لمَّاح ذكي نفَّاذٌ مضاء يفهم ما يُراد منه فعله بالإشارة دون العبارة أو بالتلميح دون التصريح أو من تعابير الوجه وتقاطيعه وجعل منهم من هو بطيء الفهم فيه بَلَادَةٌ (١) في الذهن لايقوى على المضي في الأمور يحتاج لانجاز الأمر البسيط الواضح الجلي حتى يدركه إلى تكراره مرات ومرات.

فالـذي هو سريع الفهم والإدراك لمَّاح ذكي نفاذ مضاء إذا قرأ نصاً من النصوص مهما تعددت سطوره أو صفحاته، أو كلف بانجاز مهمة ما مهما واجه فيها من صعوبات أتم ذلك بفهم ونباهة وذكاء نفاذ ومضاء لانظير له في إنجاز تلك المهمة

ومن المنقول عن ذكاء ونباهة محمد بن مسلمة الحارثي(٢) أن عمرو بن

---

(١) البلادة: ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور، والذكاء سرعة الفهم وحدته، والبلادة جموده.
قال أبو بكر بن الأنباري:
قولهم فلان ذكي معناه كامل الفطنة.
انظر محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المتوفي سنة (٧١١) ب هـ ن كتابه لسان العرب تحقيق علي شتري وانظر عبد الرحمن بن الجوزي المتوفي سنة (٥٩٧) ب هـ ن كتابه الأذكياء تحقيق الدكتور محمد أمين فرشوخ ص (٢٠) منشورات دار الفكر بيروت ص. (١).

(٢) قال الحافظ الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء.
محمد بن مسلمة من نجباء الصحابة شهد بدراً والمشاهد وهو حارثي من حلفاء بني عبد الأشهل قال له النبي (ﷺ): «يا محمد ستكون فرقة وفتنة واختلاف، فاكسر سيفك واقطع وترك واجلس في بيتك، ففعلت ما أمرني به رسول الله [ﷺ].
وروي عن الحسن أن النبي [ﷺ] أعطىٰ محمد بن مسلمة سيفاً فقال: «قاتل المشركين فإذا رأيت المسلمين قد أقبل بعضهم على بعض فأصرب به أُحداً حتى تقطعه ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدُ خاطئة أو منية قاضية» مات محمد بن مسلمة روح الله روحه في صفر سنة ثلاث وأربعين هـ عن عمر يناهز سبعاً وسبعين سنة. انظر المصدر أعلاه ج (٢) ص (٣٦٩ - ٣٧٣).

دينار سمع جابر بن عبد الله يقول:

قال رسول الله [ﷺ]:

«من لكعب بن الأشرف فإنَّه قد آذى الله ورسوله».

فقال له محمد بن مسلمة: أتحب أن اقتله يارسول الله.

قال: «نعـم».

قال: أنا له يارسول الله فائذن لي أن أقول.

قال: «قـل».

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إنَّ هذا الرجل قد أخذنا بالصدقة وقد عنانا[(١)] وقد مللنا منه.

قال الخبيث لما سمعها: والله لتملنه أو لتملن منه وقد علمت أنَّ أمركم سيصير إلى هذا.

قال: إنَّا لانستطيع أن نسلمه حتَّى ننظر ما يفعل، وإنَّا نكره بعد أن تبعناه حتى ننظر لى أي شيء يصير أمره، وقد جئت لتسلفني تمراً.

قال: نعم على أن ترهنوني نساءكم.

قال: أنرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب.

قال: فأولادكم.

قال: فيعير الناس أولادنا بأنَّا رهناهم بوسق[(٢)] أو وسقين فَيُسبُ إبن أحدنا

---

(١) عنا: ذل وقهر وكُلَّ من ذلّ واستكان وخضع فقد عنا قال الله جل جلاله في سورة طه الآية (١١١):

﴿وعنت الوجوه . . .

قال الفراء:

عنب الوجوه يعني نصبت له وعملت له.

انظر: محمد بن مكرم الأنصاري المتوفي سنة (٧١١) ب هـ ن كتابه لسان العرب حرف العين تحقيق علي الشتري.

(٢) الوسق: جمعها وسُوق وأوساق والوسق: قدره ستون صاعاً حمل البعير وقيل حمل النخلة.

انظر: مجموعة من ذوي الاختصاص اللغوي والفني والمهني كتابهم المنجد

قال الدكتور روحي البعلبكي في كتابه المورد: واسق: مُحَمَّلْ أو شاحِنْ.

وقال محمد بن مكرم في كتابه لسان العرب: الأصل في الوسق الحَمْل وهو حمل البعير والوقر حمل البغل أو الحمار.

فيقال برهن وسق أو وسقين.

قال: فأي شيء ترهنوني.

قال: نرهنك اللامة يعني السلاح.

قال: نعـم.

فواعده أن يأتيه، فرجع محمد بن مسلمة إلى أصحابه فأقبل وأقبل معه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، وجاء معه برجلين آخرين.

فقال: إني مستمكن من رمته فإذا أدخلت يدي في رأسه فدونكم الرجل، فجاؤه ليلاً فأمر أصحابه فقاموا في ظل النخل وأتاه محمد بن مسلمة فناداه.

فقالت امرأته: أين تخرج هذه الساعة.

قال: إنَّما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة فنزل إليه ملتحفاً في ثوب واحد ينضح منه ريح الطيب.

فقال محمد بن مسلمة: ما أحسن جسدك وأطيب ريحك.

قال: إن عندي إبنة فلان وهي أعطر العرب.

قال: أفتأذن لي أن أشمه.

قال: نعـم

قال: فأدخل محمد يده في رأسه فشمه ثمَّ.

قال: أتأذن لي أن أشمه أصحابي.

قال: نعم

فأدخلها في رأسه ثُمَّ شبك يده في رأسه قبضاً ثُمَّ قال لأصحابه دونكم عدو الله فخرجوا عليه فقتلوه ثم أتى رسول الله [ﷺ] فأخبره[1] الخبر.

فذلك هو الفهم والذكاء وتلك هي النباهة والفطنة.

---

(١) انظر: عبد الرحمن بن الجوزي المتوفي سنة (٥٩٧) ب هـ ن كتابه الأذكياء ص (٣٤ و ٣٥).

أما الذي هو بطيء الفهم فيه بلادة لو قرأ نصاً من سطرين فما يفهم منه إلا ظاهر القول دون معناه.

فالأول يستطيع بذكائه ونباهته وفطنته أن يستنبط الأحكام ويسن التشريعات ويقنن الأنظمة ويشرح مضامينها ويبلغ المرام. والثاني على عكس ذلك تماماً.

ومن خلال كتاب ربنا العظيم عرفنا أن الله تبارك وتعالى رفع منزلة أولي النهى والذكاء أصحاب العقول المبصرة وأن (العقول معادن الحكمة ومقتبس الآلاء ومستنبط الفهم ومعقل العلم ونور الأبصار إليها يأوي كل محصول)(١).

فحيثما تحدث عن عظمته التي تتجلى في بدائع صنعه وقدرته على جميع مخلوقـاته واحاطته بها عقب على ذلك بأنها آيات لأولي الألباب وأصحاب العقول وأولي النهى. انظر إلى قوله تعالى في الآية رقم (١٩٠) من سورة آل عمران إذ قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾

وانظر إلى قوله عز وجل في سورة المجادله رقم (١١):

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

وقوله تعالى في سورة الرعد الآية رقم (٤):

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

وقوله في سورة الروم الآية رقم (٢٢):

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) انظر: الحارث بن أسد المحاسبي المتوفي سنة (٢٤٣) ب هـ ن كتابه العقل وفهم القرآن ص (٢٤٦) تحقيق حسين القوتلي ط (٢) م دار الكندي ودار الفكر.

إن أولى النهي يتمتعون بذكاء ونباهة وفطنة تعجب منها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في قصة المرأة التي أتت تشكو زوجها الحَجَل [1] ومباعدته عن فراشها وتفرغه للعبادة بقيام الليل وصيام النهار.

قال محمد بن معين الغفاري أتت امرأة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله فقال لها:

نعم الزوج زوجك.

فجعلت تكرر عليه القول وهو يقول عليها الجواب.

فقال له كعب الأسدي:

يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه فقال له عمر: ادخل كما فهمت كلامها فاقض بينهما.

فقال كعب:

عليَّ بزوجها فأتي به.

فقال له:

إن امرأتك هذه تشكو.

قال: أفي طعام أو شرب.

قال: لا.

فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم أرشده ألهىٰ خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبده نهاره وليله ما يرقده
ولست في أمر النساء أحمده

(١) الحجل: ستر يضرب للعروس في جوف البيت.

فقال زوجها:

زهـدت في فراشهـا وفي الحَجَل | إنّـــي امــرؤ أذهـلنـي ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول | وفـي كتـــاب الله تخـــويف جلل

فقال كعب:

إنَّ لهـــا حقــاً عليك يارجـــل | تصـيبهـــا في أربـــع لمن عقـــل

فأعطِها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال:

إنَّ لله عز وجلَّ قد أحلَّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك.

ولها يوم وليلة.

فقال عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب.

- أفمن فهمك أمرها.
- أم من حكمك بينهما.

إذهب فقد وليتك قضاء البصرة (١).

والعـلامات التي تدل على عقل العَاقل وذكاء الذكي وفطنة الفطن كثيرة أنواعها عديدة أشكالها سأتناول بعضاً منها.

---

(١) انظر عبد الرحمن بن الجوزي كتابه الأذكياء ص (٢١٢)

العلامـــــات

التي تدل على عقل العاقل وذكاء الذكي
وفطنة الفطن

العـلامات التي تدل على
عقل العاقل وذكاء الذكي
وفطنة الفطن

العـلامات التي يستدل بها على رجحان عقل العاقل وحدة ذكاء الذكي وسرعة فطنه الفطن تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: خَلْقية تراها في صورته.

القسم الثاني: خُلُقية تلمسها من خصالة وأفعاله.

القســم الأول

قال بعض الحكماء:

الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة رجحان عقل العاقل وسرعة وجودة فطنة وحدة ذكاء الذكي.

فإذا غلظت الرقبة، دل ذلك على قوة الدماغ وغزارة علمه ووفوره، وإذا كانت العين شهلاء يخالط سوادها زرقة كانت أحمد العيون.

تقول العرب: أحمد العيون الشهل.

وقالوا:

إذا لم تكن العين الشهلاء شديدة البريق ولم يظهر عليها صفرة أو حمرة دلَّتْ على طبع هادىء رزين جيد.

أمَّـا إذا كانت العين غائرة في وجه صاحبها فهو رجل مكَّار حاقد حسود فتعوذوا بالله منه واستجيروا واعتصموا وقولوا:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى
ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

ومن كان نحيف الوجه فهو فهم فطن ومن كان معتدلاً في الطول فهو صالح الحال قال احد الحكماء :

من وجدت عنده خمس خصال علمت أن السعادة له ولو قبل موته بساعتين

قيل ما هي :

قال :

- استواء الخلق .
- وخفة الروح .
- وغزارة العقل .
- وصفاء التوحيد .
- وطيب المولد .

القســم الثاني

إذا رأيت الرجل:

- ذا حياء.
- وسكوت.
- وسكون.
- وخفض بصر.
- وحركات في أماكنها لاتثير شبهة.
- ومراقبة شديدة للعواقب فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في الكون الفسيح فيتخير الأعلى منزلة والأحمد عاقبة، وينظر إلى الأرض فيتخير المطعم والمشرب والملبس من حلِّه ويقول القول فيتم فعله ويترك ما يخاف وقوع ضرره ويستعد لما قد يحتمل وقوعه ذلك هو العاقل صاحب الذكاء والفطنة لذلك أقول لكم إخواني اسمعوا لقولي وتدبروا.

ألا أنبئكم بعلامة العاقل وفطنة الفطن وذكاء الذكي.

وأنبئكم بعلامة الغبي الأحمق الذي ظن وهو في هذه الحياة أنه يحسن صنعاً قولوا:

بلى.

أقول:

● من يتواضع لمن فوقه ويوقره.
● ومن لايزدري من دونه ويَحْتَقِرَهُ ويُحَقِّره.
● ومن يمسك الفضل من منطقة ولا يسفِّه منطق غيره لهوىً في نفسه.
● ومن يخالق الناس بأخلاقهم الحسنة ويحتجب عن ذميم فعالهم.
● ومن يحتجر الإيمان بينه وبين ربه عزَّ وجل وعمل لما بعد الموت.
● ومن يمشي في الدنيا بالتقى والصلاح وكأنَّه عابر سبيل، استظل في ظل شجرة ثم تركها فإنها هي الفانية وتلك الباقية هذه علامات العاقل الذكي الفطن.

أمَّا الأحمق الغبي الذي ظن وهو في الحياة الدنيا أنَّه يحسن صنعاً اسمع ماذا قال عنه النبي المجتبى رسول الإنسانية والمحبة والسلام محمد بن عبد الله [ﷺ] وهو يبصرنا بما سيؤول إليه أمر الرجل الأحمق الغبي الذي كان في الحياة الدنيا يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه، يصور لنا مصيره الأسود وحاله الذي تقشعر منه الأبدان وهو في نار جهنم يدور فيها كما يدور الحمار في رحاه تنصبُ أمعاؤه من جوفه وتخرج من دبره وتدور معه وهو يلقى عذاب ربه في نار جهنم.

جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله [ﷺ] يقول:

«يؤتي (١)بالرَّجُل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب (٢) بطنه فيدور

---

(١) في رواية البخاري (يُجَاءُ بالرجل).

(٢) في رواية البخاري (فتذلق أقتابه) قال الفيروز أبادي القتب: المعي جمعها أقتاب وقال صاحب لسان العرب أنثى وقال صاحب المنجد المعي: مذكر وقد يؤنث. وما ذهب إليه بعض أساطين اللغة أن القتب ما تحوى من البطن يعني استدار فهو غير صحيح لأن ذلك المذهب لايعطي المعنى الصحيح الذي أراده الرسول [ﷺ] من الحديث لأن الاشارة فيه إلى أن اقتابه تخرج من دُبره وتدور معه في جهنم أعاذنا الله منها وإياكم.

بها كما يدور الحمار في الرحى [2] فيجتمع إليه أهل النار [3] فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر [4] بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا أتيه وأنهى [5] عن المنكر وأتيه»[6].

هذا واقع بعض الجاهلية الغير متعلمين المندسين بين الدعاة اليوم الذين يعتبرون أنفسهم صالحين مصلحين لبسوا على الناس ولبسوا على أنفسهم بأشباح الصالحات المعطلة فانطبق قول العزيز الجبار في سورة الكهف الآيات (١٠٣، ١٠٤): ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [7]

قال الشاعر:

جامحات أعيت على الناس كبحاً ... رغم إنذارها بسوء المصير [8]

---

(١) ما بين معقوفتين هكذا [ ] زيادة في لفظ البخاري.

(٢) في رواية البخاري (برحاه).

(٣) في رواية البخاري (فيجتمع أهل النار عليه).

(٤) في رواية البخاري (أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف).

(٥) في رواية البخاري (قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم..)

(٦) انظر: عبد العظيم المنذري كتابه مختصر صحيح مسلم تحقيق محدث بلاد الشام محمد ناصر الدين الألباني الطبعة السادسة الحديث رقم (١٢٣٨) وانظر: محمد فؤاد عبد الباقي في كتابه اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان الحديث رقم (١٨٨٣).

(٧) انظر سورة طه الآية رقم (١٢٨).

(٨) الشاعر هو أحمد الزين البيت من قصيدته التي أستشهد بها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في كتابه نقد القومية العربية ص (٦٩) م المكتب الإسلامي ط السادسة.

الاختــلاف وأســـبابه

- الشخصــية أو الانســانية
- الإنسـان ابن بيئتـه

الاختـــلاف وأســبابه
الشخـصية أو الإِنســانية

كلمتــان متماثلتان تدلان على معنى مدرك غير محسوس ومن الكلمات المماثلة ما يدلُّ على معنى محسوس يشاهد بالعين ويلمس باليد.

مثــال:

عندما نقول كأس فيه عسل يدلنا هذا القول على أن الكأس يحوي عســلاً.

مثال آخر:

عندما نقول كأس فيه سم يدلنا هذا القول على أن الكأس يحوي سُمًّا.

من هذين المثالين المشاهدين الملموسين ننتقل إلى معنى المدركات غير الحسية التي لايمكن أن تدرك إلا بالعقل.

فكلمة الشخصية تدل على وجود شخص يعني وعاء وخصال.

وكذلك كلمة الإِنسانية تدل على وجود إنسان يعني وعاء وفعال.

فالأول: الشخصية أو الإِنسانية وعاء مجسم ملموس محسوس.

والثاني: الخصال أو الفعال غير محسوس ولا ملموس بل إنَّما يمكن أن ندركه بعقولنا، وبما أن الإِنسان أو الشخص وعاء مفتوح ومن الثوابت العلمية المشاهدة أن الأشياء المفتوحة فوق هذا الكوكب الأرضي مملوءة وأنه لا وجود البتَّه لأوعية مفتوحة وفارغة في آن واحد في هذا الكون.

فإذا قال لك قائل انظر إلى هذا الوعاء إنَّه فارغ لا شيء فيه لكنك تلح عليه وتقول: بل هو مملوء فيقول لك: ليس فيه إلَّا الهواء فتقول له: الحكم بفراغ

هذا الوعاء اعتباري أي أنك اعتبرت الهواء لاشيء فتقرر أن الهواء شيء .

من هذه الثوابت التي قدمت يمكنني أن أقول أن الأوعية كلها ملآنة فمنها .

- أوعية ملآنة بالأعمال الصالحة والفعال المفيدة النافعة .
- أوعية ملآنة بالحقد والحسد والفعال الفاسدة الضارة .
- أوعية ملآنة بخليط من الصالح المفيد النافع والفاسد الضار المؤذي .

الإنســان ابن بيئتــه

من خلال الـتقسيم الـــذي قدمت أرى أن الأوعية تنــطبق على الأوعية البشرية، الإنسان شخص والشخص وعاء مفتوح والمحدثون يقولون.

الإنسان ابن بيئته.

فالبيئة التي يعيش فيها الإنسان هي التي تصنعه وتملأ فراغه والمولود يولد فارغاً مفتوحاً على الفطرة فالأسرة أول ما تبدأ به المولد إمَّا أن تجعله يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً اسمع إلى قول المربي العظيم محمد بن عبد الله [ﷺ] أنَّه قال:

«ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء (١) هل تحسون فيها من جدعاء (٢) (٣).

فلا شك وبــلا أدنى ريب أن الإنســان متأثر ومؤثر بمن حوله في الأسرة والمدرسة والشارع والحي والمدينة متأثر بالانتماء للدين (٤) فهو يُملأ به من طفولته الأولى ثم يُملأ أخلاقاً وتقاليداً وعادات وأعراف فيتأثر بها ثم يؤثر بمن حوله بطرائق مختلفة وأساليب شتى وفي اماكن رحيبة واسعة على الكوكب

---

(١) بهيمة جمعاء: تامة لاشية فيها.

(٢) جدعاء: مقطوعة الاذن أو غيرها من الأعضاء يريد الرسول [ﷺ] أنّ البهيمة تولد لاجدع فيها وإنما يجدعها أهلها.

(٣) انظر: كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي الحديث رقم (١٧٠٣).

(٤) قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في كتابه نقد القومية العربية ص (٦٨).
(إنّ للضمير الديني علاقة راشدة بالسماء ونواة مباركة في الأرض) انتهى كلامه فليراجع في مكانه الذي اسلفت.

الأرضي في المدن صغيرها وكبيرها في كل مكان. ثم ينشأ عنده شعور مدمر ألا وهو الشعور بالعصبية التي تعطي صاحبها أحساساً بالتَّمايز عن غيره من بني جلدته.

قال حبيب الرحمن المبعوث رحمة لبني الإنسان [ﷺ]:

«لاتَهْلكُ أمتي حتى يكون بينهم التَّمايُلُ والتَّمايُزُ».

يعني يتحزبون أحزاباً ويتميز بعضهم من بعض ويقع التنازع (١) وتقع الفرقة فتصير الأمة شيعاً وأحزاباً عندئذ تميَّز من الغيظ وتُقَطَّعُ أوصالاً.

إنَّ ذلك يعطي الإنسان شعوراً بالاستعلاء على أخيه الإنسان من بني البشر بسبب انتمائه إلى عرق أو جنس معين أو لون أو عشيرة أو بلد ثم لايرى لغيره هذا التَّمايز.

وقد تنشأ العصبية أو ينشأ التعصب من تلميذ لشيخ تتلمذ على يديه ثم اعتنق مذهبه أو انتسب إلى مدرسته في الرأي الفاسد والعقيدة الضالة فينافح من أجلها ويهاجم من منطلقاتها. ونظرة إلى الوراء لنرى أثار ذلك على أمة الإسلام ودولة التوحيد فنرى ماثلاً أمام أعيننا مظاهر ذلك بالمعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة والجبرية والمشبهة وكل فرقة من هذه الفرق نشأ عنها فرق وطوائف عدة (٢) انتهجت لنفسها طرقاً ومفاوز غير طريق أهل الأثر أهل السنة والجماعة، أهل القرآن العظيم والحديث النبوي الشريف.

لذلك أقول إنَّ العصبية أو التعصب نهى عنها الإسلام الحنيف وأمر الحبيب المصطفى الذي لاينطق عن الهوى بعدم التعزي بها لأنها من دعوى الجاهلية فقال البشير النذير [ﷺ]:

---

(١) انظر: محمد بن مكرم الأنصاري المتوفي سنة (٧١١) ب هـ ن كتابه لسان العرب (ميز).

(٢) انظر محمد مفيد بن عزة الخيمي مخطط تعداد الفرق ص (٣٨) وانظر: محمد أحمد السفاريني كتابه لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية حققه وعلق عليه شرح غريب الفاظه المذكور أنفاً.

« من تعزَّى بعزى الجاهلية فأعضوه بِهَنِ أبيه ولا تكنوا» (١).

فهي تظهر لنا أنها دعوى عظيمة جليلة نافعة مفيدة ولكنها في الحقيقة مثل زبد البحر يحسبه الظمآن ماء إنها هوى والهوى يضل صاحبه ويلبس عليه الحق بالباطل ويعمي بصره وبصيرته فيكون ذلك في مؤخرة الأمم.

انظر إلى حال المشركين قبل البعثة المحمدية اتبعوا أهواءهم وعبدوا الأصنام من دون الله وظنوا أنها نافعتهم وهم يعلمون حقيقة أنها لاتضر ولا تنفع فضلوا وأضلوا فأضلهم الله على علم والقرآن العظيم يخبرنا عن حالهم في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (٢)

وقوله عز من قائل:

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ (٣)

وقوله أيضاً: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ (٤)

وفرق شاسع بعيد بعد المشرقين بين من يبحث عن الحقّ والمتبّع للهوى.

فالأول:

يبحث عن الحق من أجل الحق فإذا وجده خضع له واتبعه.

والثاني:

يرى الحقَّ حقّاً واضحاً أبلج كالنهار المشرق فإذا اصطدم الحق مع هواه كفر به وكاد له وحاربه.

---

(١) انظر: محمد ناصر الدين الألباني محدث بلاد الشام كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ج (١): حديث رقم (٢٦٩) م المكتب الإسلامي بيروت.

(٢) انظر سورة الجاثية الآية رقم (٢٣).

(٣) انظر سورة الفرقان الآية رقم (٤٣).

(٤) انظر سورة الفرقان الآية رقم (٤٤)

قال الله تعالى :

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ (١)

وقال جلَّ ذكـره :

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٢)

ويبين لنا العليم الخبير في آية أخرى أن الحق لو اتبع أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن انظر إلى قوله جلَّ جـلاله :

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ (٣)

أشار ربنا في آية أخرى وهو يحدثنا عن أقوام من الأمم الغابرة قد ضلُّوا باتباع أهواءهم وأضلُّوا خلقاً كثيراً من خلق الله فقال محذراً ناهيا بني آدم في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ (٤)

ومن أسباب الاختلاف أيضاً إختلاف الطبائع والأمزجة فبعض الناس حاد المزاج سريع الهيجان وبعضهم الآخر هاديء متزن لكن قد تصدر عنه أشياء ساعة الغضب لاتصدر عنه ساعة الصفاء والرضا والهدوء .

فكيف بالأشخاص المختلفين طبعاً وخلقة وخلقاً فلابد من خلاف بينهم لأنهم مختلفين في الأمزجة والطبائع وفي أشياء كثيرة .

كما أن بعضاً من الخلق يرون في أفعال الآباء والاجداد وفي أرائهم ومظاهر أعمـالهم وما يصدر عنهم من سلوك أنها جدُّ مقدسة يجب على الأبناء من الخلف التقيد بها وأن الخروج عليها كسر لقواعد العادات والتقاليد والأعراف

---

(١) انظر سورة محمد الآية رقم (١٤) .
(٢) انظر سورة القصص الآية رقم (٥٠) .
(٣) انظر سورة المؤمنون الآية رقم (٧١) .
(٤) انظر سورة المائدة الآية رقم (٧٧) .

وأنه لايجوز تحكيم العقل فيها وبيان الحسن فيها من القبيح والصحيح فيها من الفاسد السقيم وكأن ذلك الكفر بعينه فأنزل الله فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة لأنهم مقلدين أســــلافهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فأخبرنا عنهم وعن قولهم الفاسد المنكر بقوله تعالى في سورة الزخرف الآية **(٢٣)**

﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إن في هذه الآية (تسلية للنبي [ﷺ] على تمسك المشركين بدين آبائهم . . يعني ومثل قولهم قال المترفون يا محمد من أهل القُرى المرسل إليهم الرسل من قبلك) [١]

فقال الله جلَّ في علاه يا محمد. سورة الزخرف الآية **(٢٤)**

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾

هذا تعظيم للنبي [ﷺ] من ربه تعالى الذي خاطبه بقوله [٢]:

﴿قُل﴾

والمقصود من هذا الاستفهام (أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه أباءَكم) تقريرهم على ذلك واستدعاؤهم إلى النظر فيما اتبعوا فيه آباءهم لعل ما دعاهم إليه الرسول أهدى من[٣] اتباعهم ما وجدوا عليه آباءهم فيجيبون بكل صلف وغطرسة وكبرياء معلنين الكفر بما أرسل به الرسل.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) انظر محمد الطاهر بن عاشور كتابه التحرير والتنويرج (٢٥) ص (١٨٨) م الدار التونسية للنشر.

(٢) انظر: المصدر نفسه ص (١٨٩)

(٣) انظر: المصدر السابق ص (١٩٠).

(ويتضمن هذا تسلية الرسول [ﷺ] على ما لقيه من قومه كفار قريش بأنَّ الرسل قبله لقوا مثل ما لقي) (١) من قومه أهل الجاهلية كفار قريش.

قال وحيد الدين خان في كتابه الشريعة الإسلامية وتحديات العصر نقلاً عن العالم الشهير أرنولد توينبي:

«إن العقبة الكبرى في سبيل تسخير طاقات الطبيعة كانت عقيدة الشرك الذي ساد العقل البشري لزمن طويل والذي حوَّل طاقات الطبيعة الى آلهة وكان المشركون يقدسون ويعبدون هذه الطاقات بدلاً من تسخيرها وعقيدة التوحيد هي التي جعلت الإنسان ينظر إلى هذه الطاقات على أنها مخلوقات مثله ومن ثم بدأ يفكر في تسخيرها (٢)» لخدمة أغراضه التي خلقت من أجلها بفضل محمد صلوات الله وسلامه عليه واصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

هؤلاء أناس زودهم الله بنور العلم ورجاحة العقل فحكموا عقولهم فكان ذلك الفضل العظيم في قيادة البشرية إلى النور العظيم نور التوحيد للخالق الذي أعطى كل شيء ثم خلقه هـدى.

فالأوهام والخرافات وتحويل طاقات الطبيعة في هذا الكون الذي سخره الخالق لخدمة الإنسان إلى آلهة تقدس وتعبد من دون الله ونشرها بين الناس في المجتمعات صغيرها وكبيرها لتسيطر بسلطانها الموروث على العالم في أوسـع نطاق تتصدى لها قلة من الأولين أنار الله قلوبها بنور العلم والإيمان فأزالوها وقلعوا جذورها من النفوس والمجتمعات ولا يزالون على إثر ذلك في كل عصر وزمان إلى يومنا هذا ولا أدل على ذلك إلا المثل الماثل أما أعيننا ما قام به قامـع البدع والضلالات مؤسس دولة التوحيد في عصرنا هذا جـلالة الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله .

(١) انظر محمد الطاهر بن عاشور لكتابه التحرير والتنوير ح (٢٥) ص (١٩٠)

(٢) انـظر: وحيد الدين خان كتابه الشريعة الإسلامية وتحديات العصر ص (١٢) ترجمة ظفر الإسلامية خان م المختار الإسلامي.

لقد كان بعض الناس يسبحون في بحر لا قرار له من الأوهام والخرافات والمعتقدات الضالة الفاسدة ولكن بفضل من الله تعالى وتوفيقه تمكن مؤسس دولة التوحيد جـلالة الملك عبد العزيز آل سعود من تحويل تلك المسيرة إلى مسـارها المستقيم كتاب الله وسنة رسوله وبذلك تحول الناس إلى أئمة في الدين لقيادة العالـم من جديد نحو الخير والمحبة والأمن والسلام.

الاختلاف ومجالاته
الثوابت والمتغيرات

الاختــلاف ومجـالاته

الثوابــت والمتــغيرات

لدينا حقائق علميــة تعتبــر في نظر علمــاء الأمــة من الثوابت التي انعقد عليهـا الإجماع فلا جدال فيها ولا حوار في مضامينها ولا نقاش حولها لأن الإجماع عليها من الثوابت التي لايمكن التغيير فيها فلزم الجميع أن يؤمنوا بها بدون تحريف أو تغيير.

فمن هذه الحقائق الثوابت الدينية التي لا ريب فيها ولا جدال حولها أركان الإسلام وهي :

- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .
- وإقـام الصــلاة.
- وإيتاء الزكاة.
- وصــوم رمضــان.
- وحجُّ بيت الله الحرام عند الاستطاعة المادية والمعنوية.

هذه الأركان الخمس التي بنى عليها الإسلام تعتبر من الحقائق العلمية الثوابت التي أجمع عليها علماء الأمة الأئمة الأعلام فلا تغيير في ألفاظها ولا تحريف في مضامينها ومعانيها فكان الاجماع عليها زهاء أربعة عشر قرناً ملزم للجميع أن يؤمنوا بها بدون تحريف أو تغيير.

وكذلك جميع المحرمات التي نهى عن ارتكابها الإسلام الحنيف وأمر باجتنابها.

ومن هذه الحقائق الثوابت أيضاً التي لايكتمل إيمان المرء واسلامه إلَّا بها الصفات الخلقية التي تعلو بالإنسان إلى القمم الشامخات فهي:

- الصـــدق.
- والأمـانة.
- والايثـار.
- وحسـن المعاملة.
- ورعاية حقوق الناس.
- والوفاء بالعهــد.
- ونصـرة المظلوم.

إلى غير ذلك من الصفات الخلقية الحميدة فهي من الثوابت التي لاتغيير فيها.تكتمل في المرء عند دراسة أبواب الفقه وتمثلها قولاً وعملاً.

فلا يجادل امرؤ في قيمة هذه الصفات الأخلاقية وأثرها الفعَّال على الفرد والأسرة والمجتمع لأنها من الثوابت التي انبثقت عن الإسلام وهديه وظلت ثابتة ثبات الجبال الراسيات على مرِّ الدهور واختـلاف الأمكنة والأمصـار فبها ساد الأمن والسلام ونمت روح المحبة بين أفراد الأمة في جميع أمصارها.

فتلك الثـوابت التي قدمت لانزاع فيها ولا ريب ولا اختلاف عليها فهي لاتخضع للتغيير أو التبديل أو التحريف.

أما المتغيرات فهـي الأمـور الـتي اختلف فيهـا النـاس وهي كثيرة جداً وحين اختلف الناس اختلفوا في بعض الفروع الدينية وفرعوا فيها بحسب ما وصل إلى علم كل من المختلفين علىٰ ضوء ما صحَّ عنده من النصوص وما هداه إليه علمه وتفكيره واجتهاده لحل المستجدات المطروحة على الساحة في عصره ومصره في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى لايكون

حرج في مصالح الناس وفي معاشها فتتعطل عجلة الحياة بتقدم العلم وتزدهر المكتسبات الحضارية عند غير المسلمين ويتأخر عنها المسلمون.

فهناك أعراف وعادات وتقاليد وأنماط عيش ومظاهر سلوكية واجتماعية ليست من الثوابت لذلك قال عنها الحبيب المصطفى [ﷺ]:

«**أنتم أعلم بأمور دنياكم**».

فهي من المتغييرات وليست هي واحدة بل هي كثيرة جداً لها أشكال وألوان مختلفة تتغيَّر بتغير الزمان والمكان وبتغير الظروف البيئية والاجتماعية والسياسية في أصول الحكم، والاقتصادية في مجالات المال المحيطة بأبناء الأمة داخلياً وخارجياً ولذلك قالوا.

لاينكر تغيرُّ الأحكام بتبدُّل الأزمان.

والاختلافات والمتغيّرات في الناس قد تأخذ طابع الحدة إذا كان الاختلاف فيها جوهرياً وقد تأخذ طابع اللين إذا كان الاختلاف فيها جزئياً.

فالبعض يرى في تغيرَّها خيراً والبعض الآخر يرى أنَّ بقاءها خير من التغيرِّ والزمن وحده كفيل في الإستجابة إلى التغير.

ولاشك أنَّ كل ذلك له تأثير إمَّا سلباً أو إيجاباً على الفرد والمجتمع وإليكم بعضاً من الأمثلة على ذلك فأهل الشام مثلاً غيروا شكل لباسهم الخارجي مرات ومرات خلال حقبة من الزمن.

والجهاز الحاكي أعني (الراديو) الجهاز الذي يرسل إلينا رسائله ويخبرنا فيها عن العلم والعلماء والمعارف المختلفة في أول ظهوره أعتبره كثير من الناس أنَّه من الأجهزة المحرمة شرعاً لايجوز اقتناؤه أو الاستماع إليه أما اليوم الحال تغير.

وكذلك الرائي أعني (جهاز التلفزة) كان ظهوره أول ما ظهر مجالاً لاثارة الجدل والقول بأنه محرم شرعاً فحاربه كثير من الناس. والبعض ممن أدخله

إلى بيته أمر نساءه أن يحتجبن منه .

والآن نجد جهاز الـرائي في كـل بيت ومتجـر ومكتب فهـل بقيت تلك النظرة إلى هذه المكتسبات الحضارية كما هي عليه أول ظهورها طبعاً «لا» .

إذاً هذه من المتغيرات

وكذلك الأكل والشرب واللباس والركوب كلها من المتغيِّرات التي تختلف في أشكالها وألوانها لتتناسب مع العصور الحديثة وتختلف عن العصور الغابرة .

قال تعالى في الأكل والشـرب :

﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ (١)

فهل حدد لنا أشكال طبخ الطعام وصنع الشراب المباح؟ «لا» .

وقال تعالى :

﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٢)

وقال :

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ (٣)

كذلك ننظر إلى أنماط السلوك والعادات الاجتماعية كحفلات الأعراس والختان، والأعياد، وجميع المناسبات، لكل قوم شأن فيها، وعادات اعتادوا عليها، وكل ذلك قابل للحوار، قابل للتغيرِّ والتطوير والتَّبديل في كل زمان ومكان .

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم (٣١)
(٢) سورة الأعراف الآية رقم (٣١)
(٣) سورة النحل الآية رقم (٨)

الاختــلاف وأنـواعه

المقـدمة

الاخـتلاف هو رد الأمور الجزئية إلى القواعد الكلية وبيان الأصول التي ينتمي إليها الإختلاف في حدود ما يحل الاختلاف فيه [1] وكل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه [ﷺ] منصوصاً بيناً لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه [2]، هذه قاعدة أصولية لايجوز الحيدة عنها.

(١) انظر محمود بن أحمد الزنجاني المتوفي سنة (٦٥٦) هـ كتابه تخريج الفروع على الأصول ص (١٣) تحقيق الدكتور محمد أديب الصالح م مؤسسة الرسالة طـ (٣).

(٢) انظر المصدر السابق ص (١٣) في الحاشية عن الشافعي (رضي الله عنه).

الاختـلاف وأنـواعه

الخـلاف أنواعه كثيرة منها :

١ ـ خلاف يمكن أن نسميه اختـلاف وجهـات النظر، للوصول إلى حقيقة واحدة، وفي هذا الموضوع تختلف السبل والوسائل، لكن الغاية خير، ويكون النظر إلى المخالف هو النظرة إلى مجتهد، يبذل وسعه للوصول إلى الحق، ويستعين بما لديه من أدلة وبراهين على ذلك.

وقد اختلف أصحاب رسول الله [ﷺ] في الفروع، وكان في إختلافهم خير كثير وتوسعة على الأمة في أمور دينها، ولكل وجهة نظر مؤيدة ببرهان.

قال الإمام مالك :

« إن أصحاب رسول الله [ﷺ] اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب»(١).

وقال أيضاً:

«إن اختلاف العلماء رحمة على هذه الأمة، كل يتبع ما صح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله »(٢).

ومن أكبـر الأمثلة على هذا النوع من الخلاف ما ورد في كتاب الأم للإمام الشافعي (٣) عليه ـ رحمة الله تعالى ـ أبواب كاملة عن هذا النوع مثـل «اختـلاف مالـك مع الشافعي، و اختلاف محمد بن الحسن مع الشافعي، و اختلاف ابن أبي ليلى مع محمد بن الحسن، واختلاف عبد الله بن مسعود و على بن أبي طالب وغير ذلك من الأبواب »(٤).

(١) (٢) انظر محمد عوامه كتابه صفحات من أدب الرأي ص (٢٩)

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، المطلبي إمام من أئمة أهل القرآن والأثر ولد عام (١٥٠) ب هـ ن على أرجح الأقوال في القاهرة عام (٢٠٤) ب هـ على أرجح الأقوال ودفن فيها وقبره معروف هناك، صاحب التآليف العديدة اشهرها وأهمها كتاب الأم في فقه الشافعي والرسالة.

(٤) انظر محمد بن ادريس المطلبي الشهير بالشافعي لكتابه الأم ـ ج (٧) طبعة الشعب.

وانني أقول إن هذه الأبواب تعد من أروع الابواب التي يستفيد منها القاريء بغية المحاورة مع مخالفيه فلتراجعه حتى تستبين ألفاظها ومراميها ومقاصدها وهذا هو النوع الأول.

٢ ـ أما النوع الثاني:

فهو قريب الشبه من النوع الأول، ويمكن تسميته «التشاور» وذلك في الأمور العظيمة، والأحداث الكبيرة، فيجتمع أولو الرأي والمشورة، والراسخون في العلم، ومن عرفوا بالسداد في القول والعمل، وأصحاب الحل والعقد، ليتشاوروا في هذا الأمر، ويدلي كل بما عنده، ويؤخذ ما يعتقد أنه أصح الآراء، دون تسفيه غيره من الآراء، أوانتقاصه.

٣ ـ والنوع الثالث:

هو الاختلاف المذموم، الذي يؤدي إلى الخصومة والتفرق وإنقسام الأمة شيعاً وأحزاباً، ويكون أحد الطرفين أو كلاهما مماريا جدلاً ألدّ الخصام. ومخالفته لرأي الآخرين السديد يكون تعصباً لرأيه، أو لطريقته أو لقومه، أو تحزباً لشعار أو تحيزاً لشخص أو فئة وقد يكون الخلاف خروج فئة ضالة على إجماع الأمة.

وقد حذرنا المولى عز وجل من هذا النوع من الاختلاف في آيات كثيرة، وضرب لنا الأمثلة الكثيرة عن الأمم الغابرة التي كان مصيرها الهلاك بعد اختلافهم وانقسامهم وتحزبهم. يقول الله تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ (١)

ويقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ

---

(١) سورة البقرة ـ الآية رقم (١٧٦).

﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [1]

ويقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ [2]

فكانت عاقبة الذين اختلفوا فيه أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله.

وحذرنا رسول الله [ﷺ] كذلك من هذا الاختلاف فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب» [3].

ونحمد الله تعالى أننا في هذه البلاد المباركة، لانختلف في الكتاب، ولا نختلف في شيء من أصول الدين، بل ولا حتى في الفروع، وإنما عندنا وجهات نظر متعددة في بعض القضايا القابلة للنقاش والحوار، فلا يجوز لنا أن نعدها خلافات أواختلافات توجب الفرقة، أو الخصام، أو الشقاق، وإنما نعالج الأمور بالحسنى ، ونأخذ بالرأي الأقوم والقول السديد لتسلك أمتنا السبيل القويم، سبيل الخير والسعادة والرشاد.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية رقم ١٠٣.

(٢) سورة هود الآية رقم ١١٠

(٣) رواه مسلم في كتاب العلم رقم ٢، وأحمد في مسنده ١/ ٤٢١، ٤٠١٢و٢/ ٤٦٧.

الوقاية وطرق العلاج

لما سبق في علم الله وقضائه أنه سيقع الاختلاف بين الأمة لذلك أمرهم وأوجب عليهم عند التنازع . الرد إلى كتابه وسنة نبيه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (١)

قال العلماء: الردُّ إلى الله: الردُّ إلى كتابه. والردُّ إلى رسوله: الردُّ إليه في حياته عليه الصلاة والسلام والرد إلى سنته بعد وفاته (٢).

ودلت الآية: أن من لم يردَّ عند التنازع إلى كتاب الله وسنة نبيه. فليس بمؤمن، لقوله تعالى:

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢)

فهذا شرط ينتفي المشروط بانتفائه.

ومحال أن يأمر الله الناس بالرد إلى ما لايفصل النزاع، لاسيما في أصول الدين التي لايجوز فيها التقليد عند عامة العلماء.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ (٣)

ولما أخبر النبي [ﷺ] بوقوع الاختلاف الكثير بعده - بين أمته - أمرهم عند وجود الاختلاف بالتمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فقال [ﷺ]:

---

(١) انظر سورة النساء الآية رقم (٥٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٨/٤٩٥ - ٥٠٤

(٣) انظر سورة النساء - الآية رقم (٦٥)

«إنـه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(1)

ولم يأمرنا الله ولا رسوله بالردِّ عند التنازع والاختلاف ـ إلى ما عليه أكثر الناس، ولم يقل الله ولا رسوله لينظر أهل كل زمان إلى ما عليه أكثر أهل زمانهم، فيتبعونهم. ولا إلى أهل مصر معين، أو إقليم، وإنما الواجب على الناس الردُّ إلى كتاب الله وسنة نبيه، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وما مضى عليه الصحابة والتابعون، لهم بإحسان. فيجب على الإنسان الالتفات إلى كتاب الله وسنة نبيه، وطريقة أصحابه والتابعين وأئمة الإسلام. ولا يعبأ بكثرة المخالفين بعدهم، فإذا علم الله من العبد الصدق في طلب الحق، وترك التعصب، ورغب إلى الله في سؤاله هدايته الى الصراط المستقيم: فهو جدير بالتوفيق.

فإن على الحق نوراً، لاسيما التوحيد الذي هو أصل الأصول، الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو توحيد الألوهية، فإن أدلته وبراهينه في القرآن ظاهرة، وعامة القرآن إنما هو في تأصيل هذا الأصل العظيم.

ولا يستوحش الإنسان لقلة الموافقين، وكثرة المخالفين، فإن أهل الحق أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، لاسيما في هذه الأزمنة المتأخرة، التي قد صار الإسلام فيها غريباً.

والحق لايعرف بالرجال، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمن قال له: أترانا نرى أن الزبير وطلحة كانا مخطئين وأنت المصيب

---

(1) قطعة من حديث العرياض بن سارية، أخرجه أبو داود في سننه رقم ٤٦٠٧، والترمذي رقم ٢٦٧٦، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة في سننه رقم ٤٢، وأحمد في المسند ٤/١٢٦، ١٢٧، والحاكم في المستدرك ١/٩٥، والبيهقي في الدلائل ٦/٥٤١، وأبو نعيم في الحلية ٥/٢٢٠، ١٠/١١٥ وقال: هو حديث جيد، من صحيح حديث الشاميين، وصححه ابن تيمية في الإقتضاء ٢/٥٧٩.

فقال له علي رضي الله عنه «ويحك يافلان إن الحق لايعرف بالرجال. اعرف الحق تعرف أهله» (١).

وقال ابن القيم: وما أحسن ما قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن المعروف بأبي شامة - في كتابه الحوادث والبدع: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً، والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي محمد [ﷺ] وأصحابه، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

(١) انظر: الانتصار لحزب الله الموحدين - ص (٨٩)

البـــاب الثـاني

- إضـاءة
- النهي عن المنكر وأركانه
- الدعوة ومجـالاتها
- الدعوة ومنهجـنا
- الدعوة والحكمـة
- الدعوة والموعظة الحسـنه
- الدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن

اضـــاءة

هل العبرة في مناهج الدعوة بالوسائل أم الأهداف

إن بعض الوسائل على الأقل يتغير من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل، ثم إن الوسيلة الواحدة يمكن أن تخدم أهدافاً عدة. أو لاتخدم هدفاً على الإطلاق.

فالـدعوة لأي مبدأ أو عقيدة عن طريق الحروب المدمرة أصبحت الآن لاتجدي، فالإسلام بحمد الله تعالى قد نضج عوده، وكثر أتباعه، وفي نفس الوقت الجهاد لازم لأمة الإسلام، دفاعاً عن دينهم، وأعراضهم، وأموالهم وأوطانهم».

بداية نقول إن دين الإسلام دين غير محدود في بقعة أرض، وإنما هو دين يسعى لتحقيق هـدف شامل ألا وهو إعداد الإنسان الصالح، الإنسان على إطـلاقـه، بمعنـاه الإنساني الشامل، الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه. الإنسان من حيث هو إنسان، لا من حيث هو «مواطن» في هذه البقعة أو في ذلك المكان.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٨٧﴾ (١)

هذه دعـوة لاتعرف حدود الوطن ولا العنصر ولا القبيلة، لاتعرف حاجزاً واحداً من الحواجز المصطنعة.

والإسلام في إعداده للإنسان الصالح، لايترك الناس حيارى يتخبطون في التيه كل منهم يرسم صورة على هواه.

(١) سورة ص الآية رقم (٨٧)

تبليغ تلك المباديء وإيضاحها تقع مسؤوليتها على المسلمين أنفسهم، هذا التبليغ أوتلك الدعوة يجب أن تكون خالصة لله أولاً، خالية من كل شوائب الدنيا، وهو في ذلك خليفة الله فى الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١)

ولكي يصل الداعية إلى الهدف المحدد الواضح الذي سوف نتحدث عنه، فهو يرد الناس إلى خالقهم ويصلهم به مباشرة وبلا حواجز، وهذا الرد إلى الخالق هو محور العقيدة الإسلامية كلها، التي إذا وصل إليها الإنسان، أصبح إنساناً بحق.

(١) سورة البقرة الآية رقم (٣٠)

النهي عن المنكر واركـانه

اساس الدعوة قائم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن بالطرق الحسنـة. ولما كان الخلاف منبعه الهوى وإختلاف الامزجة أردت أن أبين مراتب النهي عن المنكر لتكون اضاءة لجميع المسلمين وذلك للاخذ بها عند الدعوة الى الله تعالى.

ورد عن ابي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) انه يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

وفي رواية أخرى: «**من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء، وذلك أضعف الإيمان**»(٢).

ومن هذا الحـديث يتضـح لك أخي المسلم وأختي المسلمة، أن تغير المنكر ثلاث حـالات.

الحـالة الأولى: تغير المنكر باليد وهذا خاص بولي الأمر أو من أنابه عنه.

الحالة الثانية: تغيير المنكر باللسان وهذا خاص بالعلماء ورجال الفكر أولي النهي.

الحالة الثالثة: تغير المنكر بالقلب وهذا خاص بمن دونهم مرتبة في العلم والفقه في الدين.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الايمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان تحت رقم (٧٨) من حديث طارق بن شهاب وأخرجه ابو داود في كتابه الصلاة رقم (٢٣٢) واخرجه ابن ماجه في كتاب الاقامة تحت رقم (١٥٥) واخرجه الامام أحمد ج (١) ص ٣ و ٢٠ و ٤٩ و ٥٣.

(٢) انظر مصادر الحديث السابق.

أولا : تغيير المنكر باليد :

المقصود باليد هنا القدرة والقوة والاستطاعة ، وهي دائماً وأبداً بيد ولي الأمر أو من أنابه عنه ، فإن ولي الأمر أو نائبه يستطيع تغيير الكثير من الذي المنكرات ، لأنه يستمد سلطته من الله العلي الأعلى فمنحه من أجل ذلك القوة والسلطان ، والجاه وخضوع الرعية لتوجيهاته وإرشاداته وأوامره .

وكذلك قد يكون تغيير المنكر بالقوة لدى القاضي في محكمته ، والقائد في جيشه ، والمدير في مصلحته ومدرسته ، والاب في منزله .

فالذي مكنه الله من ذلك كان عليه فرضا النهي عن المنكر.

ثانيا : تغيير المنكر باللسان :

إن تغيير المنكر باللسان اي بالقول الحسن والكلمة الطيبة هي الدعوة باللسان والاقلاع عن المنكر عند رؤيته ويكون عند رؤية المتلبس متلبسا بالمنكر في أي زمان أو مكان .

وهنا نود أن ننبه إلى أنه متى توفرت الشروط والصفات يجب على كل مسلم أو مسلمة أن ينهي عن المنكر بلسانه ، دون يده ويجب أن تتوفر النية الصادقة لله تعالى ، لا لرياء ولا لسمعة ، ولا يخشى في الله لومة لائم ، فإنه ليس من عدم الاستطاعة الهيبة والخوف من الناس ، ففي الحديث:

«ألا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه (١) لان المسلم حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بلسانه ، إنما ينصح لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم؛المسلمين الذين يأمرهم بالمعروف أو ينهاهم عن منكر يفعلونه والدين النصيحة ، فإذا كان الدين النصيحة فلابد اذن من الأمر

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن تحت رقم (٢٠) واخرجه ابن ماجه في كتاب القتل تحت رقم (٢٠) ايضا واخرجه الإمام احمد في مسنده ج (٣) ص (١٩ و ٥٣).

بالمعروف والنهي عن المنكر، لتتحقق النصيحة التي عرفها رسول الله (ﷺ) بقوله:

«الـدين النصيحة قلنا: لمن قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعـامتهم»[1]. وعلى المسلم حينـذاك أن يكون لبقا حكيما في دعوته وامره ونهيه، متئدا في تعليمهم أحكام الدين، يترسم في ذلك كله قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ﴾[2]

إن الكلمة الطيبة التي يلقيها الداعية الصادق في أذن امرىء شارد عن الطريق فيغرس بها بذرة الهداية في قلبه، تعود على الداعية بثواب يفوق حمر النعم، لقول رسول الله (ﷺ): **«من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه، لاينقص ذلك من أجورهم شيئا»**[3].

فلا عجب إذن أن يحسد الدعاة على صبرهم وحسن بلائهم في سبيل الله، إذ ينفقون اموالهم وأوقاتهم في دعوة الشاردين المنحرفين عن الجادة، وأن ينـوه بهذا الحسد المرغوب رسول الله (ﷺ) بقوله: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»** [4]

ثالثاً: الإنكـار بالقـلـب:

---

(١) اخرجه الإمام مسلم في كتاب الايمان باب بيان أن الدين للنصيحة من حديث تميم الداري تحت رقم (٥٥) وترجمة له الإمام البخاري ولم يخرجه مسند لأنه ليس على شرطه

(٢) انظر سورة النحل الآية رقم (١٢٥)

(٣) اخرجه الامام مسلم في كتاب العلم باب من سن سنه حسنة أو سيئة ومن دعا الى هدى او ضلالة تحت رقم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله وتحت رقم (٢٦٧٤) من حديث ابي هريرة

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة تحت رقم (٧٣) من حديث عبد الله بن مسعود وفي كتاب الزكاة باب انفاق المال في حينه تحت رقم (١٤٠٩) وأخرجه الامام مسلم في كتاب صلاة المسافر باب فضل من يقوم بالقران ويعلمه تحت رقم (٨١٦)

وهو اضعف الإيمان، وآخر المراتب، وهو في الوقت نفسه مهم جدا ولذا يجب على كل مسلم ومسلمة من العامة، ولذا لايسقط عن المكلف بحال من الأحوال في كل زمان ومكان يحدث فيه منكر من المنكرات التي أنكرها الشرع الإسلامي.

والإنكـار بالقلب يكون كالتالي:

(أ) بغض المعصية التي رآها أو سمعـها.

(ب) التمني، وهو أن يتمنى أن لو يستطيع أن يزيل هذا المنكر بيده أو لسانه.

(ج) الدعاء بان يدعو الله أن يزيل هذا المنكر، وأن يهدي قلب صاحبه إلى الصراط المستقيم.

الـدعوة ومجـــالاتها

إن خادم الحرمين الشريفين قد نظم مجالات الدعوة على أسس علمية دقيقة فقد شكل «هيئة» كبار العلماء والادارات العامة للبحوث العلمية والافتاء والـدعـوة والارشـاد وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلفهم بهذه المهمة الصعبة، وهي الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأوكـل ذلـك إلى حكمتهم وحسن تصـرفهم، ووضـع بين ايديهم سلطات وقنوات واسعة كي يتحدثوا إلى الناس ويسمعوا منهم ويحاوروهـم، ويفتوهم فيمـــا يعـرض لهم ويبينـوا لهم ما اشكـل عليهم في أمـورهـم الاجتمـاعية والاقتصادية وقد فتح خادم الحرمين الشريفين أمامهم قنوات واسعة:

وأول هذه القنوات: بيوت الله العامرة بالمؤمنين ، فلكل مسجد تقام فيه الجمعة إمام وخطيب يذكر الناس يوم الجمعة ويعظهم.

ثم دروس في المساجد، يلقيها كبار العلماءد محاضرات وخطبا عن شئون المسلمين وقضاياهم.

ومن هذه القنـوات الاذاعـة (البرنامج العام) و (البرنامج الثاني) وإذاعة القرآن الكريم وإذاعة نداء الاسلام وثالث هذه القنوات البث عن طريق الرائي (التلفـاز) بقنـاتيه الأولى والثانية ورابع هذه القنوات المجال الصحفي، وما أكثـره، ومعـظم الصحف تعمـل على تحـرير المقالات من كتابات هؤلاء الدعاة، وينشرونها على الناس ليستفيدوا منها.

ثم هناك قنوات كثيرة متعددة مثل النشرات والكتيبات ذات الموضوعات المفيدة يوزع منها الكثير الكثير مجانا وليس الأمر قاصرا على وسائل الاعلام هذه والقنوات التي أشرت إليها، وإنما هنالك المدارس والمعاهد الدينية،

والجـامعات، بمناهجها الدينية الموسعة والمتخصصة فقد خصصت وزارة التعليم العالي مادة الثقافة الاسلامية وأدخلتها في جميع كليات الجامعات وفروع التعليم وكذلك وضعت وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات منـاهـج تفي بالمطلوب وتحقق الغرض المنشود، كما خصصت لكل منها اساتذة مشهود لهم بالكفاءة والاخلاص والفهم والوعي الصحيح .

وكذلك فتحت المجال امام كل من يجد في نفسه القدرة والكفاءة على التعليم والوعظ والارشاد. فبامكان هؤلاء أن يتقدموا الى الهيئة المشرفة على المجال الذي يريده ، فترى الهيئة امكانية تكليفه، حتى يكون الأمر منضبطا.

والحمد لله وحده الذي وفق خادم الحرمين الشريفين أن يجعل هذه البلاد تزخـر بتلك القنـوات والمجـالات وتصبح بهؤلاء الدعاة المخلصين الذين يطوفون الأرض من مشارقها الى مغاربها يعلمون الناس أمر دينهم، ويدعونهم إلى تعاليم الاسلام الحنيف بفقه مبين ووعي صحيح ، وعلـىٰ بصيرة وعلم رشيد.

من توجيهات رب العالمين، أن تتفرغ فئة معروفة بالفضل والتقى، ومشهود لها بالصلاح والإحسان، مهمتها الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (١)

هؤلاء هم الدعاة حقاً دعاة إلى الخير.

والخير كلمة جامعة لأنواع كثيرة من الفضائل، كالصدق والبر والإحسان، والإخلاص لله في العبادة، والأمانة، والوفاء بالعهد، وتهذيب النفوس وتنقية القلوب، والإكثار من الصدقات، والكرم والجود، فكل هذه الخصال خصال حميدة خصال خير تجمعها هذه الكلمة.

كما بين الله سبحانه وتعالى الطريقة التي نسلك بها سبل الدعوة إلى الله فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (٢)

إذن الدعوة إلى الله تقوم على هذه المبادىء الثلاثة:

- الحكمة.
- الموعظة الحسنة.
- المجادلة بالتي هي أحسن.

---

(١) أنظر سورة آل عمران الآية رقم (١٠٤).

(٢) انظر سورة النحل الآية رقم (١٢٥).

الحكمة من الكلمات الجامعة لكثير من المعاني، ومما يفهم منها أنها الفهم العميق لأسرار الأحكام الدينية ومقاصدها والبصيرة النافذة وحسن معالجة الأمور، والصواب في القول والعمل.

والحكمة من أعظم الصفات التي يمكن أن يتحلى بها الإنسان.

يقول الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ (١)

وكان من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، لهذه الأمة أن قالا: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (٢)

قال صاحب كتاب تفسير منار

«لقد علم إبراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام، أن تعليم الكتاب والحكمة لايكفي في إصلاح الأمم وأسعادهم، بل لابد أن يقرن التعليم بالتربية على الفضائل، والحمل على الأعمال الصالحة بحسن الأسوة فقال: ﴿ويزكيهم﴾ أي يطهر نفوسهم من الأخلاق الذميمة، وينزع منها تلك الأعمال الرديئة، ويعودها الأعمال الحسنة التي تطبع في النفوس ملكات الخير، ويبغض إليها الأعمال القبيحة التي تغريها بالشر» (٣).

---

(١) انظر سورة البقرة الآية رقم (٢٦٩)

(٢) انظر سورة البقرة الآية رقم (١٢٩).

(٣) انظر محمد رشيد رضا كتابه تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير «المنار» ج (١) ص (٤٧٩)

لقد امتن الله على هذه الأمة، فأرسل إليهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، بأفعاله وأقواله ومواقفه.

نقرأ هذا الموقف من سيرة المصطفى [ﷺ] والذي يدل أبلغ الدلالة على حكمة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وتزكية أصحابه في معاهدة الحديبية «قال الزهري في حديثه: **فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي [ﷺ] علياً رضي الله عنه ليكتب فأملى عليه أن اكتب.**

فقال النبي [ﷺ] «بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال سهيل:

أما الرحمن فو الله لا ندري ما هو، ولكن اكتب: «باسمك اللهم» كما كنت تكتب.

فقال المسلمون:

(والله لانكتبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال النبي [ﷺ]:

«اكتب باسمك اللهم. ثم قال:

«هذا ما قاضىٰ عليه محمد رسول الله».

فقال سهيل:

والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن أكتب «محمد بن عبد الله».

فقال النبي [ﷺ]:

«والله إني لرسول الله وإن كذبتموني. اكتب «محمد بن عبد الله».

قال الزهري: وذلك لقوله:

«لايسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا اعطيتهم إياها».

فقال له النبي [ﷺ]:

«على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به».

فقال سهيل:

والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة[1]، ولكن ذلك من العام المقبل.

فكتب سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا.

قال المسلمون:

سبحان الله!! كيف يُرد إلى المشركين، وقد جاء مسلماً، فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين.

فقال سهيل:

يا محمد! أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي:

فقال النبي [ﷺ]:

«إنا لم نقض الكتاب بعد.

قال:

فوالله إذن لم أصالحك على شيء أبداً.

قال النبي [ﷺ]:

«فأجزه لي»، قال:

ما أنا بمجيزه لك، قال:

«بلى فافعل».

---

(١) الضُّغطةُ: التطبيق. والضُّغْطَةُ الإكراه وفي الحديث الشريف «لايسرقن أحدكم مال امريء في ضغطة من سلطان» أي قهر.
انظر لسان العرب.

قال:

ما أنا بفاعل.

قال مكرزاً:

بل قد أجزناه لك.

قال أبو جندل:

أي معشر المسلمين أردُّ إلى المشركين، وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله

قال:

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت رسول الله [ﷺ]،

فقلت:

ألست نبي الله حقاً.

قال:

«بلى».

قلت:

ألسنا على الحق وعدونا على الباطل

قال:

«بلى».

قلت:

فلم نعطي الدنية في ديننا إذن

قال:

«إني رسول الله ولستُ أعصيه وهو ناصري ولن يضيعني أبداً».

قلت:

أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به

قال:

«بلى ، أفأخبرتك أنا نأتيه العام» .

قال:

لا .

قال:

«فإنك آتيه ومطوف به»

قال:

فأتيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه

فقلت:

يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً.

قال:

بلى .

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل.

قال:

بلى .

قلت:

فلم نعطي الدنية في ديننا

قال:

أيها الرجل

إنه لرسول الله [ﷺ] وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق.

قلت :

أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به .

قال :

بلى ،

أفأخبرك أنك تأتيه العام

قلت :

لا .

قال :

«فإنك آتيه ومطوف به»

قال الزهري :

قال عمر رضي الله عنه : فعملت لذلك أعمالاً [١]

قال :

فلما فرغ من قضية الكتاب ، قال رسول الله [ﷺ] لأصحابه :

«قوموا فانحروا ثم احلقوا» .

قال :

فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ،

فقالت أم سلمة :

يانبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك .

فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه .

---

(١) فعملت لذلك أعمالاً : أي أعمالاً من أعمال البر والخير ، ليكفر بها عما بدر منه تجاه رسول الله [ﷺ] .

فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً»[1].

هذه المواقف البالغة الدقة تبين لنا عظمة الرسول [ﷺ]، ومدى ما يتمتع به من حكمة في معالجة الأمور.

لقد رأى بثاقب نظره وبصيرته التي ألهمه الله إياها أن إعطاء قريش ما تريد من شروط فيه مصلحة كبيرة للمسلمين.

وكان رأي غالبية المسلمين أن يدخلوا البلد الأمين، ويطوفوا بالبيت العتيق لاسيما أنهم على الحق، واعداؤهم على الباطل، وهم في ذلك الوقت قوة يحسب حسابها، فكيف يعطي الرسول لقريش ما يريدون من شروط بعد أن أصبحوا على مشارف مكة يطلب إليهم أن يعودوا من حيث أتوا.

وها هو عمر يتكلم ويسأل ويحاور ألست نبي الله حقاً.

ألسنا على الحق وعدونا على الباطل.

ولم يشأ الرسول [ﷺ] أن يشرح لعمر وللمسلمين أبعاد الموقف ولا آفاق المستقبل الذي كان يراه بعين بصيرته، وكشفت عنه الأيام التالية القريبة واكتفى بالقول: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

تجلت حكمة الرسول [ﷺ] حيث وافق أن يكتب «باسمك اللهم» وأن يكتب «محمد بن عبد الله» بدلاً من «رسول الله» وهو رسول الله حقاً، وأن هذا الذي كتب لاينفي الحقيقة والأهم من ذلك كله حين حالوا بينهم وبين البيت الحرام ووافقهم الرسول [ﷺ].

مع أن كثرة المسلمين كانت آراؤهم عدم قبول شروط قريش إلا أنهم تركوا القرار للقائد الأعظم، وكان قراراً صعباً.

---

(١) انظر كتاب الرحيق المختوم في السيرة النبوية ـ كتاب صفي الرحمن المباركفوري ـ كتابه باب الحديبية سنة (٦) ب هـ ت ص. ٣٢٤ وما بعدها.

ومع أن عمر أعلن رأيه . . لكن لزم غرز رسول الله [ﷺ] .

لقد كشفت الأيام ـ بعد الحديبية ـ بقليل أن شروط قريش لم تكن لصالحها، فقد اهتز مكانها ومركزها، حين تسامع العرب أنها تصد عن البيت، ثم إن الذين يسلمون من قريش ويعيدهم الرسول [ﷺ] صاروا يشكلون قوة تتعرض لقوافل قريش فاضطرت قريش أن تتنازل عن هذا الشرط، وترجو محمداً [ﷺ] أن يؤوي أولئك المسلمين ولا يعيدهم .

وكان درساً بليغاً طهّر بنتائجه كثيراً من النفوس التي وجدت على المعاهدة أثناء كتابتها .

كانت الحديبية، وكثير من المواقف غيرها كقسمة الغنائم بعد حنين، وما تركته في نفوس بعض المسلمين تعليماً وتطهيراً وتزكية للمسلمين، تلقوها بقلوب واعية، وعقول مدركة، ومشاعر متفتحة فصاروا بذلك خير أمة أخرجت للناس بشهادة القرآن الكريم فالله تعالى يقول :

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (١)

---

(١) انظر سورة آل عمران الآية رقم (١١٠).

من مبـادىء الـدعـوة: الموعظة الحسنة، التي تأخذ بمجامع القلوب، وتستهوي العقول، وتشد إليها الأفئدة.

فالمـوعـظة الحسنة تشمل التذكير بفضل الله على عباده، والترغيب في العمل الصالح لنيل الدرجات العلى في الجنة، والترهيب من النار وعذابها بأسلوب رائق، يشد السامعين.

والتنويع في أسلوب الوعظ والإرشاد له أثر كبير في تزكية النفوس وتطهيرها. فيأتي الداعية الواعظ بالقصص وضرب الأمثلة واستنتاج العبرة منها.

ويحكي كذلك من الواقع مشاهد يعرفونها، وقصصاً وقعت لأناس تربطهم علاقة بهم أو يعرفهم المتحدث بنفسه.

كذلك يحكي لهم أحداثاً ومشاهد من السيرة النبوية العطرة مستخلصاً منها العبر ومستنبطاً منها الأحكام.

كذلك يحكي لهم قصص الأبطال والعظماء من الأمة الإسلامية فتتشوق النفوس للسير على مناجهم.

ويضرب لهم الأمثال التي تتعلق بها النفوس.

وعليه أن يفعل هذا في حال نشاط من السامعين، وأن يقبل بحديثه على الجميع، وأن يبتعد عما يثير الملل والسأم في النفوس.

كل ذلك جميل والأجمل منه أن يكون صادقاً في كلامه يشعرهم بالصدق مع كل كلمـة يقولها، ولا يتحرى القصص الكاذبة التي ملأت الكتب غير الموثقة في حديثه لان ذلك يجعل لكلامه أثراً في نفوس الناس وكذلك يتحرى رواية الأحاديث الصحيحة من خلال كتب السنة المعتمدة الصحاح ولا بأس

بذكر اسم الراوي حتى يتيقن الناس ويثقون بعلمه.

ويتلو عليهم آيات الله التي تتحدث عن الرقائق ورحمة الله بالناس مثل قول الله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾[1]

ومثل قول الله تعالى من سورة لقمان:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا

(١) انظر سورة الزمر الآيات ذات الأرقام (٥٣-٦١)

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [1]

ويبين لهم فوائد التلاوة بخشوع وذكر الله تعالى في الليل والنهار ويستحسن أن يقدم لهذه المواعظ القرآنية بمقدمات مشوقة توحي بما سيتلوها. ثم بعد التلاوة يشرحها شرحاً مبسطاً مؤثراً بعيداً كل البعد عن التقعر في الحديث والتكلف الذي يسبب الملل للسامعين مع التعليق، بما يناسب ذلك.

---

(١) انظر سورة لقمان الآيات ذات الأرقام (١٢-١٩)

الدعـوة والمجـادلة بالتي هي أحســن

وهو المبدأ الثالث من المبادىء التي قررتها الآية في الدعوة إلى الله: ﴿وَجَـٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (١)

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ (٢)

والجـدال بالتي هي أحسن يعني أن يتمكن الإنسان من ناصية الحديث ويعرف أطرافه ولا يثير بجداله عنفاً ولا صخباً وإنما يلقي ما عنده برفق وأناة، يخاطب القلوب قبل العقول والمشاعر مع الآذان.

وفي القرآن أمثلة كثيرة من المحاورة والجدال بالتي هي أحسن بين الأنبياء وأممهم التي قابلتهم بالعنف والعدوان. هذا إبراهيم الخليل يحاور أباه بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ

---

(١) سورة النحل الآية رقم ١٢٥.

(٢) سورة فصلت من الآية رقم ٣٤-٣٥.

عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ [1]

أرأيت هذا الأسلوب الوادع الرضي وهذا النداء من الابن المشفق الخائف على مصير أبيه فقد بين نبي الله ابراهيم لأبيه مصادر القوة التي هي من خصائص الآله الواحد بقوله يا أبت لم تعبد ما لايسمع ولايبصر ولا يغني عنك شيئاً.

يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً

يا أبت إني أخاف أن يمسك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان ولياً.

إنها نداءات تذيب القلب. لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وهذا مثال آخر من القرآن في جدال موسىٰ وهارون مع فرعون وملئه قال تعالى:

ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ

(١) انظر سورة مريم من الآية رقم (٤١-٤٧)

﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١
قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥ وَلَقَدْ
أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾ (١)

أرأيت إلى هذا التدرج في عرض الدعوة.

بينا لفرعون أنهما جاءا بآية من الله وعبرا عن ذلك

﴿جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾

أي ربنا وربك ورب كل شيء. ونحن نعلم أن فرعون كان يقول: أنا ربكم الأعلىٰ ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ
لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣٨﴾ (٢)

ومع علم موسىٰ وهارون بجبروت فرعون وطغيانه فإنهما راحا يحاورانه بالحسنى طمعاً في إيمانه إلا أنه استكبر وأبى.

---

(١) انظر سورة طه من الآية رقم (٤٣-٥٦)

(٢) سورة القصص الآية رقم (٣٨)

وأمـامنا الآن نموذج ثالث من القرآن للجدال بالتي هي أحسن. إنه بين رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه وبين فرعون وملئه.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ [1]

هكذا فليكن الحـوار.

ها هو فرعون يهدد ويتوعد: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾

وهاهو الرجل المؤمن يلاين قومه، ويرغبهم من ناحية ويخوفهم عذاب الله من ناحية أخرى بأسلوب عذب قوي.

﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾

أهذا ذنب يستحق القتل

وهذه الروعة في الجدال ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾

سيجازى بكذبه ما يستحق.

أما إن كان صادقاً فلابد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم به ، ويتابع هذا المؤمن محاورته مع قومه، ونلاحظ أنه يبدأ بـ (ياقوم) دلالة على حبه واشفاقه على قومه ومصيرهم.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١﴾

---

(١) انظر سورة غافر من الآية رقم (٢٦-٤٦)

مما يذكرنا بنداءات ابراهيم : (يا أبت) .

وعند حديثه عن أمثلة الطغاة والمتجبرين أو المستغربين لقدرة الله تعالى ، يذكر من آيات الله العظيمة فمثلاً يذكر هذه الآيات مع شرحها شرحاً مبسطاً وافياً .

يقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ
فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا

ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [1]

وكذلك يحضهم على الصدقة فيذكر لهم قول الله تعالى :

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟
صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ [2]

إن ما عرضناه من آيات يعطينا مثالاً حياً علينا أن نحتذيه في دعوتنا، ثم تأتـي مشيئة الله تعالى في هداية العباد.

(١) انظر سورة البقرة من الآية رقم (٢٥٨-٢٦٠).

(٢) انظر سورة البقرة ـ من الآية رقم (٢٦١ ـ ٢٦٤).

الباب الثالث

- الحوار وأصوله
- الفهم وطرق فشله

الحـــوار وأصـوله

إن للحوار أصولاً متَّبعة وللحديث قواعد ينبغي مراعاتها، وعلى من يريد المشاركة في أي حوار أن يكون على دراية تامة بأصول الحوار المتبعة وفنه وعليه أن يعـرف كيف يدخل في الموضوع، وكيف يخرج منه إلى موضوع آخر، وكذلك إذا دخل في باب من أبواب العلم يلزمه أن يعرف كيف يخرج منه من باب إلى باب، ويضع نصب عينيه ما يلي:

- فهم نفسية الحـاضـرين، ومعـرفـة مستواهم العلمي، وقدراتهم الفكرية ليخاطبهم بحسب ما يفهمون.
- ألا يستبد بالحوار ويستأثر بالحديث وحده، فينفرد به ولا يترك مجالاً لغيره، ولا يدع مقالاً ولا فرصة لقائل، وإنما يستأثر بذلك وحده.
- أن يكون حسن الاستماع لأقوال الآخرين، ويتفهمها فهماً صحيحاً لامرية فيه ولا يقاطع المتكلم أو يعترض عليه أثناء التحدث إلى الناس بنية إرباكه أو إحراجه.
- ألا يعتقد أو يعلن أن الحق حكر عليه وحده، وأن غيره بعيد عن الحق، وبالتالي يبعد عن ظنه أن أقواله جميعها هي الصواب لاتحتمل الخطأ، وأقوال غيره عكس ذلك.
- أن تكون غايته الوصول إلى الحق، والاعتراف به والخضوع له.
- التراجع عن الخطأ والاعتراف به إن فعله، فالرجوع إلى الصواب فضيلة، فقد أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة أن يحدد المهور، وأعلن ذلك على المنبر، فقالت امرأة: ليس ذاك إليك يا أمير المؤمنين.

قال الله تعالى:

﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ (١)

فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

- أن يكون كلامه في حدود الموضوع المطروح بحثه وألا يخرج إلى موضوع آخر لاعلاقة له بالأول.
- أن يبتعد عن اللجاج وهذر الكلام، وأن يكون كلامه واضحاً بيناً مؤيداً بالحجج، وألا يرفع صوته أكثر مما يحتاج إليه السامع فان ذلك رعونة وايذاء، ولا يخفضه كثيراً، وإنما بين بين.
- أن يكون بعيداً عن التنطع في كلامه (٢)، لايتكلف النطق حباً بالتظاهر ولفت الأنظار إلى شخصه، فالتنطع والثرثرة الفارغة ليسا من خلق المسلم العامل الذي يحب معالي الأمور ويكره سفسافها، وإنما هما من خلق الإنسان الفارغ التافه الذي لايهمه إلا الظهور والبروز وجذب الانتباه إليه، ولذلك اشتد بغض رسول الله [ﷺ] للمتنطعين فقال:

«إن ابغضكم إلي، وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون والمتفيهقون، المتشدقون» (٣).

- أن يعطي أولوية الحديث للأعلم في المجلس، إن كان عالماً فقيهاً متبحراً في الأصول والفروع، أو من أهل الرأي والمشورة والفضل.
- أن يتروى قبل التصدي للكلام، فلا يصدر الكلام قبل التفكر فيه والتأمل

---

(١) سورة النساء ـ الآية رقم ٢٠.

(٢) التنطع في الكلام: يعني التعمق فيه مأخوذ منه وفي الحديث: (هلك المتنطعون) هم المتعمقون المغالون في الكلام الذين يتكلمون بأقصى حلوقهم تكبراً وهذه صفة ذميمة في المتكلم الذي يغالي في الكلام فتشعر وأنت تستمع إليه يتحدث من أقصى حلقه. انظر: لسان العرب

(٣) انظر الامام أحمد بن حنبل كتابه المسند ج (٤) ص (١٩٣)

في مضامينه وما يترتب على ذلك من خير أو شر فتقع الفتنة والفتنة نائمة لعن الله موقظها وأن يزن كلماته، ويقدر وقعها في نفوس السامعين، ويختار العبارة السهلة المناسبة للمعنى المراد لا الصعب الممتنع.

- أن يكون في حديثه إنماء للموضوع الذي سيحاور فيه أو يتحدث عنه، أو توضيح بعض نقاطه، واستنباطه الفوائد منه، وبيان لما يكون في بعض جوانبه من إجمال، ولا يكون كلامه لمجرد لفت الأنظار إليه وسماع السامعين لصوته.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ (١)

نزلت هذه الآية بوجوب مجاهدة الكفار والمنافقين، والتغليظ عليهم، وقررت أن مأوى الفريقين جهنم خالدين فيها وبئس المصير.

وهذه الآية الكريمة اتخذها بعض المتحمسين المندفعين المتهورين دليلاً على وجوب استخدام العنف والغلظة وسيلة في دعوتهم الناس جميعاً إلى عبادة الله وحدهُ وترك عبادة العباد، وينظرون إلى جمهور المسلمين ممن اختلفوا معهم في الفروع دون الأصول على أنهم كفار أو منافقون، ويتخذون في ذلك الفظاظة والغلظة والقسوة أسلوباً عسراً في دعوتهم.

فتراهم عابسين مكفهري الوجوه، يتطاير الشرر من أعينهم يأخذون الناس بالظن. قال الله جل جلاله. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾ (٢) وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (٣)

لذلك أقول لهؤلاء كما قال الله لهم انكم تتبعون الظن والهوى فهذا فهم سقيم وعمل مشين فيه الكفر المؤدي إلى النار لذلك قال الله لهم

---

(١) انظر: سورة التوبة ـ الآية رقم (٧٣).
(٢) انظر سورة النجم الآية رقم (٢٣).
(٣) انظر سورة الحجرات الآية رقم (١٢).

﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ وهذا خطاب للمؤمنين دون غيرهم.

إن الآية صريحة في مجاهدة الفريقين المذكورين: الكفار والمنافقين، وإخراجهما من ديارنا في حالة اعلان الحرب علينا فقط وإذا لم يفعلوا ذلك فعلينا البر بهم والاحسان اليهم والمحافظة على أعراضهم وممتلكاتهم قال العليم الخبير:

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [١]

والآية ليس فيها ذكر لمجاهدة المسلمين أو المؤمنين ـ والعياذ بالله ـ إلا إذا وصمنا جماهير المسلمين بأنهم: إما كفار، أو منافقون ـ نعوذ بالله من الخذلان.

ونسأل هنا ياترى: من هم الكفار الذين أمرنا الله بمجاهدتهم، ومن هم المنافقون

الكفـار كما يعلم الجميع هم منكرو الألوهية والوحدانية والمشركون من أهل الكتاب أو الوثنيين، أمثال عبدة الكواكب والأحجار والنار وما أشبه ذلك.

والمنافقون، هم الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر.

فالفريق الأول محدد معروف. أما الثاني فلا يعرف إلا إذا أظهر ذلك النفاق.

---

(١) انظر سورة الممتحنة الآيتين رقم (٨, ٩)

حتى في أيام الرسول [ﷺ] لم يكن أحد غير رسول الله [ﷺ] يعرف المنافقين جميعاً، وذلك باخبار جبريل عليه الصلاة والسلام عن أعيانهم ثم ما كان من أخباره حذيفة رضي الله عنه، صاحب رسول الله [ﷺ] عنهم فهو صاحب سره [ﷺ] حيث أعلمه بأسماء عدد منهم وطلب إليه كتمان أسمائهم.

فإذا كان هذا فعل رسول الله ﷺ وفعل الصحابي الجليل حذيفه فهل يجوز لأحد بعد الرسول وصحبه أن ينظر إلى أي مسلم ويدعى أن هذا كافر وذلك منافق وهؤلاء علمانيون ملاحدة وهم جميعاً يشهدون أن «لا إله إلا الله وحده لاشريك له».

فهم مؤمنون ورب الكعبة رغم أنف كل متكبر جبار

روى الامام البخاري في صحيحه من حديث عِتبان بن مالك بعد أن صلى له الرسول [ﷺ] في بيته قال:

«وحبسناه على حزيرة (طعام) صنعناها له، فثاب (أي اجتمع) في البيت رجال ذوو عدد، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدُّخشَن فقال بعضهم ذاك منافق، لايحب الله ورسوله.

فقال رسول الله [ﷺ] لاتقل ذلك، ألا تراه قد قال: «لا إله إلا الله» يريد بذلك وجه الله. .

قال: فإنا نرى وجهه، ونصيحته إلى المنافقين. قال رسول الله [ﷺ] فإن الله قد حرم على النار من قال «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله [1].

لم يرضَ رسول الله [ﷺ] أن يُتَّهم أحد من المسلمين بالنفاق من غير بينة جلية واضحة وحجة قوية دامغة، على الرغم من أن الصحابي الجليل قال للرسول: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين: بالرغم من ذلك كله رفض

(١) رواه البخاري في صحيحه.

الرسول الرؤوف الرحيم بأصحابه [ﷺ] هذه البينة القاصرة على قول القائل بدون بينة جلية واضحة وحجة قوية دامغة. فكان ذلك تعليم لمن كان حوله وتحذير لمن سيأتي بعده ممن يريد إتهام الناس بتهم باطلة لا أساس لها من الصحة ولا دليل عليها تطلق هكذا جزافاً.

إنني أنادي هؤلاء الذين يكيلون التهم جزافاً فأقول ماذا تفعلون بقول رسول الله [ﷺ]:

«أيما رجل قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما» (١)

وقوله [ﷺ]

«ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله»(٢).

ومن ثمَّ من أجاز لكم أن تصدروا أحكاماً على الناس من خلال نظرتكم البشرية إليهم، وأنتم بشر تتقاذفكم الأهواء وتهوى بكم الريح في بحر من الفتن ثم توزعون عليهم درجات الرسوب وإخراجهم من دائرة العقيدة، وتدعون بأن هذا كافر، وذاك منافق، وهؤلاء فساق.

هل أمرنا الله ورسوله بهذا هل كانت سيرة الرسول [ﷺ] وسيرة أصحابه وتابعيهم من بعده على مثل ما أنتم عليه اليوم.

ألم يأمرنا الرحمن الرحيم رب العالمين بالتثبت حين ينقل إلينا أن فئة أو جماعة هم من الكافرين أو هم من المنافقين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ (٣)

---

(١) الحديث صحيح، فقد أخرجه البخاري رقم (٦١٠٤).

(٢) البخاري ٦٠٤٧ و ٦١٠٥

(٣) انظر سورة الحجرات الآية رقم (٦)

إن الأمين محمد بن عبد الله [ﷺ] كان يشير إلى صدره ويقول: «التقوى ها هنا» أي في القلب.

وهل ننسى موقف أسامة بن زيد حين قتل مرداس بن نهيك الذي روى لنا قصته الإمام البخاري

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال:

«بعثنا رسول الله [ﷺ] إلى الحرقة[1] فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: «لا إله إلا الله » فكف الأنصاري عنه، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا، بلغ النبي [ﷺ] فقال: «يا أسامة أقتلته بعدما قال «لا إله إلا الله » قلت: كان متعوذاً[2] فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[3]

ثم من ناحية ثانية، فإن جهاد الكفار والمنافقين يقرره الإمام ويأمر به ولي الأمر، وهو الذي يحدد زمانه ومكانه، ويحدد الفئات التي ينبغي مجاهدتها.

أما أن يتصرف كل إنسان بما يهوىٰ فيكره فلاناً، فيتهمه، ويحقق فيه اتهامه، ثم يوقع عليه العقوبة من عند نفسه، فهذا لايجوز، ولا يقول به أحد وهو بعد ذلك مخلٌ بالأمن، مخلٌ بالاستقرار.

وكيف يأمن مَن يفعل ذلك أن يصدر عن المعاقب ردة فعل، فيكيل له الصاع صاعين، وهل يأمن أن ينتصر له آخرون، فيزداد الشرّ وتقع الفتنة.

هذه الطريقة تنفر القلوب، وتفرق الأمة، وتغرس الحقد والعداوة ضد مستعملها، وأي مسلم يقبل أن يوصم بالكفر ثم يسكت.

---

(١) في الصحيح الحرقات قال ابي حجر تسمى الحرقة لأنه حرق قوماً بالقتل فبالغ في ذلك (٥١٧/٧٠) الفتح

(٢) متعوذا أي خوفاً من الموت

(٣) رواه الإمام البخاري بسنده عن أسامة بن زيد كتاب المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة رقم (٤٢٦٩)

ورواه الامام مسلم في كتاب الإيمان تحت رقم (١٥٩) والامام أحمد في سنده ح (٥) تحت رقم (٢٠٠) وأبو داوود وفي سننه كتاب الجهاد وباب ما يقاتل المشركون تحت رقم (٢٦٤٣).

ومن كشف عن قلوب العباد، ليعرف مؤمنهم من كافرهم أهذا الذي يحمل العصا أم ذاك الذي يصرخ بأعلى صوته موزعاً السباب والشتائم، وكيف تقتنع العقول والبصائر، وتنشرح الصدور وتطمئن القلوب، لمن يعنف ويلقى الناس عبوساً، ويُلقي المواعظ غاضباً، وكأن الدين حِكْرٌ له ووقفٌ عليه والحق له وحده لايشاركه فيه أحد.

ألم تقرأ قول الله تعالى معاتباً رسول الإنسانية والمحبة محمد [ﷺ] إذ قال في سورة عبس ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾

ثم هل يقبل أو يرضى هو أن يقال له ياكافر، أو يا منافق، أو يا فاسق كيف يكون وقعه عليه.

حذار وحـذار يا أخي قد تكون مخلصاً في اندفاعك لإعادة الناس إلى الجادة لكنك أخطأت السبيل.

إن الـذين تصمهم بالكفـر أو النفـاق هم أولادنا وآباؤنا وإخواننا وأخواتنا وأعمامنا وعماتنا وأخوالنا وخالاتنا، كلهم يدينون بدين الإسلام وهم مسلمون يشهدون أن (لا إله إلا الله) وأن محمداً عبده ورسوله، وإن رأينا في سلوكهم بعض التقصير أو الاعوجاج، فنسلك معهم سبيل الشفقة عليهم واللين لهم، فهو أقرب إلى الحق والحق أحق أن يتبع.

ونحن حين نرى عليهم نرى تقصيراً فإنا أمام سبيلين.

- الاصلاح
- أو التنفير

فإذا كنا نريد الإصلاح فعلينا أن نسلك سبيله.

لذلك كان علينا ونحن نريد الإصلاح لهذه الفئة المقصرة في بعض تصرفاتها كي تعود إلى الجادة وتلتزم بأمر الله وتعاليمه، والتحلي بأحسن الصفات، أن ندعوها إلى ذلك متحلِّين بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ﴾ (١)

والخطاب موجه إلى الرسول [ﷺ] في دعوته المشركين وعبدة الأوثان بالحكمة والموعظة الحسنة فما بالك إذا كان المدعو مؤمناً موحداً.

فهل من الحكمة استعمال العصا معه وضربه بالسوط ونعته بنعوت شتى ذميمة لاترضاها لأحد من أهل بيتك.

لا ولن تجدي الموعظة بالشتم والضرب والنعت حتى الكافر بين الكفر حرام عليك أن تنعته بأية صفة من الصفات لقوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾

لماذا نترك كل ما جاء في كتاب الله باتباع اللين، واستخدام الكلمة الطيبة والرفق بالناس والحديث معهم والحوار بيننا وبينهم بوجه سمح طلق.

هل المسلمون ـ الذين تتهمونهم بالكفر ـ أشد كفراً أو عناداً في نظركم من فرعون الذي قال:

﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ (٢)

هل هناك كفر أشد من هذا ومع ذلك أمر الله سبحانه نبيه موسى وأخاه هارون حين أرسلهما إلى فرعون وقومه في سورة طه:

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ (٣)

---

(١) انظر سورة النحل ـ الآية رقم (١٢٥).

(٢) انظر سورة القصص ـ الآية (٣٨).

(٣) انظر سورة طه الآية رقم (٤٤)

والتزما بأمر الله، حاورا فرعون حواراً ليناً، وبينا له أن العذاب على من كذب وتولى.

وبدورهما لم يقولا له: إن العذاب عليك يا فرعون، لأنك كذبت وتوليت وطغيت وتكبرت وتجبرت وهما يعلمان علماً يقيناً لاريب فيه أن الله يؤيدهما بنصره وآياته، وفي ضميرهما قول الله تعالى:

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[1]

غير أنهما آثرا الالتزام بما أوصاهما ربهما به، وطمعا أن يؤمن فرعون، وهما يعلمان أنه، إن يهد الله رجلاً واحداً على يديهما خير لهما مما طلعت عليه الشمس.

إنَّ الذي علينا اليوم في عصرنا هذا ونحن أمة تواكب عصر النهضة وترى ما حققه العلم لنصرة دين الله وتأييده شريعته وأن هذه الأمة تحب الخير كل الخير للناس جميعاً أن نلم شمل المسلمين، ونتعرف على أحوالهم، ونبحث عن الداء لنصف الدواء ونجمع كلمتهم، ونشرح لهم بالحسنى جوانب الضعف وأوجه التقصير إن كان هناك تقصير، وسبل الهداية إن كان هناك إنحراف، وندلهم على السبل المنجية التي يتجنبون بها مواطن الزلل والخطأ. ثم ننظر إلى أنفسنا، هل هذبناها تهذيباً كاملاً، لانقص فيه، هل نتصف بالأخلاق الحميدة التي دعانا للإتصاف بها رب العالمين، وإلى أي درجة وصلنا منها. يقول الله تعالى في سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا

(١) انظر سورة طه ـ الآية رقم (٤٦).

(٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧)
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ
فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧) [1]

إن المفاهيم الاعتقادية الإيمانية معرفتها جد ضرورية لتوجيه جميع أنواع

(١) انظر سورة الفرقان الآيات من رقم (٦٣ - ٧٧).

السلوك الإنساني، فمن ليس لديه مفهوم صحيح ثابت عن أمر من أمور حياته لايستطيع أن يتخذ تجاهه قراراً يطمئن إليه، ولا يستطيع أن يوجه نحوه عاطفة صادقة، ولا يستطيع أن يرسم لنفسه سلوكاً لاتردد فيه ولا اضطراب فكيف يستطيع أن يرسم لغيره.

إننا حين نلاحظ أنواع سلوكنا العادي في الحياة نجد أن إرادتنا تتصرف بتوجيه من مفاهيمنا الثابتة في نفوسنا، هذه المفاهيم الثابتة تمثل فينا مجموعة عقائدنا في الحياة.

من هنا ندرك أهمية مفاهيمنا الثابتة ـ وهي مجموعة عقائدنا ـ في توجيه إرادتنا لأنوع من السلوك الإنساني الروحي نتصور أنها تجلب لنا مصلحة أو نفعاً أو لذة، فهذه امور نحبها ونعمل لتحقيقها. ونتصور إنها تدفع عنا مفسدة أو مضرة، أو ألماً، وهذه أمور نكرهها، والمفاهيم متى غدت ثابتة راسخة في نفوسنا، وأطمأنت قلوبنا إليها، وأصبحت عواطفنا تتأثر بها كانت عقائد راسخة لدينا، وهذا المستوى من رسوخ المفاهيم مع طمأنينة القلب إليها، وتأثر العواطف بها، هو ما يطلق عليه لفظ الإيمان، ومشتقات هذا اللفظ.

فعباد الرحمن مسيرتهم تبدأ أول ما تبدأ بالإيمان الحق المطلق الذي نزل به جبريل الأمين من عند الله الرحمن الرحيم، على النبي [ﷺ] الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

من أراد أن يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فعليه أن يقوم بذلك على هدى وبصيرة من كتاب الله وسنة رسوله [ﷺ] فالله تعالى يقول في محكم آياته:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (١)

(١) انظر سورة يوسف الآية رقم (١٠٨).

الباب الرابع

الداعية أخلاقه وصفاته

المسلم أخلاقه وصفاته

النفس الانسانية وتهذيبها

المعاملة وأدابها

المسلم وقلبه

الغيبة والنميمة وأثرها السيء على النفس والمجتمع وسياسة الحكم

الـداعية
أخـلاقه وصفاته

- المقدمة
- الرحمة
- الحلم
- العلم
- الصبر
- سنن الله في خلقه
- القدوة الحسنة
- اللين والتواضع
- الأمانة والعفة والصدق في القول والعمل
- الالمام بالمشكلات الإنسانية والأوضاع العالمية
- حلو الحديث فصيح اللسان في جامع البيان
- الاستشهاد وبالقصص وعرضها باسلوب جذاب
- الحوار بطريقة السـؤال
- ضرب الأمثال
- التنوع في طرق العرض
- عذب الصوت
- عدم التشهير بذكر ما يكره السامع

الداعيه أخلاقه وصفاته

المقدمة

الباب الرابع

لايكتب للداعية الفلاح ولدعوته النجاح ، إذا لم يتمتع بالأخلاق العالية الرفيعة والصفات الإنسانية الحميدة.

قال الله تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (١)

فهو القدوة لنا والاسوة الحسنة في امتثال أخلاقه ﷺ وفعاله ويقول الرسول الكريم ﷺ : **«إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»** (٢)

فلذلك يعمل العاملون ومن أهم هذه الصفات التي يجب على الداعية أن يتّسم بها

- أن يكون الداعية ملماً الماماً تاماً بالحالة الاجتماعية والثقافية والفكرية للناس الذين يود دعوتهم إلى هذا الدين الحنيف .
- وعلى الداعية أن يجمع بين يديه أسباب النجاح وسبل الفلاح في دعوته الى الله جل في علاه وعليه أن يعرف الحالة المعيشية والمشكلات التي يعانون منها، فقد يكون بعضهم في أمس الحاجة الى لقمة العيش، أو قد يكون على غير وفاق مع أهله أو أصدقائه، أو أقاربه، أو جيرانه لانهم في تلك

---

(١) سورة القلم ـ الآية رقم (٤).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (ك البر والصلة ـ باب ما جاء في معالي الأخلاق رقم (٢٠١٨) من حديث جابر وقال: حديث حسن غريب، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم: (٧٩١).

الأحـوال يكون معظمهم يفكر في مشكلاته فعليه أن يتعرف عليها ويحاول المساعدة في حلها.

وعليه أيضاً أن يستأصل الغل والحقد والحسد من نفوسهم من خلال دعوته ويفتح بابا للتحدث في اسباب الرزق. وان الرزق بيد الله تبارك وتعالى، وانه مضمون ومهما حاول الانسان فلن يأخذ إلا ما كتبه الله له.

وعليه ان يغرس في نفوسهم التعامل مع الناس بامانة وتقى ولا ينافقهم حتى يستجلب عطفهم لرزق يطلبه أو مركز يتشوق إليه وألاَّ تسيطر عليهم الأوهام والأماني الفارغة بسبب مشكلاتهم الاجتماعية أو غيرها، فالامور تسير كما قدرها الله سبحانه وتعالى.

ومن اخلاق الداعية وصفاته الرحمة.

الرحمة

فعليه أن يكون رحيماً بالناس، مشفقا على ضعفائهم ومنحرفيهم وعصاتهم لأن المنحرف والعاصي يحتاجان إلى الشفقة وإلى من يمد لهما يد العون لمساعدتهما وإخراجهما مما وقعا فيه.

لقد كان رسول الله (ﷺ) رحيما رؤوفا. قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (١)

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (٢)

إن الرحمن اسم من أسماء الله الحسنى مشتق من الرحمة، والرحمة أجل صفة تتدفق بفيض العطاء الإلهي دون حساب، فمن كان من عباد الرحمن حقا تدفق عليه من ربه فيض عطاء لايستطيع العادون حصره، ولا يستطيع الواصفون وصفه، ولا بيان حقيقته أو مقداره.

---

(١) انظر سورة التوبة الآية رقم (١٢٨)

(٢) انظر سورة آل عمران الآية رقم (١٥٩).

لقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلماً؛ برحمة منه يتراحم العباد ويهديهم؛ وبرحمة منه ينزل عليهم الشريعة الكفيلة بتحقيق الخير والسعادة لهم في دنياهم واخراهم، وبرحمة منه يدخل المؤمنين في جنته، ويغفر للمسيئين ويستجيب للمضطرين ولقد كتب الله على نفسه الرحمة، ووصف نفسه بأنه أرحم الراحمين، وبانه خير الراحمين وأبان الرسول الامين محمد [ﷺ] مبلغ عظمة رحمة الله بالنسبة الى كل الرحمة الموجودة لدى جميع خلق الله لو جمعت، روى البخاري في صحيحه ومسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله [ﷺ] «ان لله مئة رحمة، انزل منها رحمة واحدة بين الجن والأنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

فمن تحقق بعبوديته في ظل اسم الله (الرحمن) وتحلى بصفات عبد الرحمن صادقاً مخلصاً تدفق عليه من رحمة الله فيض عظيم وكان سعيداً في الدنيا سعيدا في الآخرة تتوالى عليه النعم توالى عليه ويعطيه الله من النعيم المقيم مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومن اخلاق الداعية وصفاته

الحـــلم

وقديما قالوا: الحلم سيد الأخلاق، وقال رسول الله [ﷺ] لاحد أصحابه يمدحه « إن فيك خصلتين يحبهما الله ، الحلم والاناة» (١)

فعلى الداعية أن يتحلى بالحلم ويتصف بالأناة ومعنى الحلم أن تعفو عمن ظلمك وتصفح عمن أساء إليك، وتعرض عن الجاهلين.

روي عن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً جذب رسول الله [ﷺ] جذبة شديدة أثرت حاشية الرداء في بدنه الشريف، فما زاد على أن تبسم في وجه الأعرابي.

وعلى الداعية ألا يندفع وراء من يدعو إلى الخصومة، أو اللجاج أو من يتناول الداعي إلى الله بالسب والشتم ويبادر بسيء الكلام، ويتجلى الحلم في سعة صدره حين يواجه وعلى الداعية ألا يبادر بالاسئلة الحرجة في كثير من الأمور والرسول [ﷺ] له مواقف رائعة في الحلم وسعة الصدر فعن أبي أمامة أن شاباً أتى النبي [ﷺ] فقال: يا نبي الله أتأذن لي بالزنا فصاح الناس به: فقال له النبي [ﷺ] اتحبه لأمك قال لا جعلت فداك قال [ﷺ] كذلك لا يحبه الناس لأمهاتهم ثم سأله [ﷺ] اتحبه لأبنتك اتحبه لأختك والشاب يجيب كجوابه الأول فدعا له الرسول الكريم [ﷺ] قائلاً: «اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه ـ يعني الزنا»(٢).

ومن ذلك ايضا أن اعربيا جاء إليه يطلب منه عطاء فاعطاه الرسول [ﷺ] ثم قال له: «أحسنت اليك».

---

(١) رواه مسلم ٤٨/١ ك الايمان ـ باب الامر بالايمان بالله تعالى ورسوله (ص) وشرائع الدين من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) رواه الامام احمد في مسنده عن ابي امامة ج (٥) من ص (٢٥٦ ـ ٢٥٧).

قال الاعرابي : لا ، ولا أجملت ، أي استقل العطاء ؛ حين ذلك غضب المسلمون غضبا شديدا وقاموا إليه ، وقد هموا أنْ يؤدبوه بالعنف . فاشار اليهم الرسول [ﷺ] ان كفوا ، ثم قام ودخل منزله ، فارسل اليه وزاده شيئاً ، ثم قال له [ﷺ] : «أحسنت اليك» .

قال : نعم ، فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً .

فقال له النبي [ﷺ] : « إنك قلت ما قلت آنفا ، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء ، فإن احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عنك» .

قال : نعم ، فلما كان الغد جاء ، فقال النبي [ﷺ] : «إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه ، فزعم انه رضى ، اكذلك» .

قال : نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً .

فقال الرسول [ﷺ] :

«مثلي ومثل هذا ، كمثل رجل له ناقة شردت عليه ، فأتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها ، فقال لهم : خلوا بيني وبين ناقتي ، فإني أرفق بها منكم واعلم ، فتوجه لها بين يديها ، فأخذ من قمام الأرض ، فردها ، حتى جاءت واستناخت ، وشد عليها رحلها ، واستوى عليها ، واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار» (١) . . . .

إن من صفات عباد الرحمن ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ (٢) هذه الظاهرة تدل على صفة الحلم المتاصل في ذات أنفسهم وكيانهم الداخلي ، وتدل على رجحان العقل لديهم ، فلا يستثيرهم جهل الجاهلين ولا يدفع بهم إلى مواقع الحمقى والمغفلين بل يضبطون انفسهم والسنتهم ، ولا يقابلون

---

(١) رواه القاضي عياض في كتابه الشفاء في أحوال المصطفى ﷺ ج (١) ص (٢٥٣)

(٢) سورة الفرقان الآية رقم : ٦٣ .

الجهالة القولية بمثلها بل يقابلونها بالخلق الحسن والحلم والاناة ويضبطون انفسهم واعصابهم، فلا يتصرفون تصرفا غير محمود.

إنهم يقطعون على جهل الجاهلين طريق الفتنة والشر ويطفئون نار الشرارة الاولى التي لو قوبلت بمثلها لكانت نارا متاججة، قد تجر الى قتال كبير وشر مستطير.

العـــلم

ومن أخلاق الداعية وصفاته العلم لذلك يجب على الداعية إلى الاسلام أن يكون على درجة كبيرة من العلم والفقه واطلاع على أصول الدين وفروعه ومسائله حتى إذا تكلم، تكلم بعلم، وإذا سئل أفتى عن علم.

ويجب على الـداعية إلى الاسلام أيضاً أن يختار من العلم أصحه، فمثلا يختار من الحديث الصحيح وما تواتر، ومن الآراء الفقهية، الآراء التي لاتضر بمصالح الناس وبها تيسير على العباد، ولا ينزع في قوله الى الاختلافات التي بين الفقهاء ، وكذلك عليه أن يتجنب القصص الواهية والروايات المكذوبة الدارجة على السنة الناس والموضوعة ويبتعد كل البعد عن البدع الموروثة ولا باس من أن يحفظ بعضا من الشعر العربي الاصيل الذي يدعو الى الفضيلة والخلق الكريم وكذلك أن يكون لديه علم بالعربية وعلومها، حتى يفرق بين الالفاظ ويوضح المبهم منها.

أما أن يحفظ جملة أو جملتين أو مسألة أو مسألتين ، ثم يظن أنه حاز العلم كله، ولا حاجة به إلى مزيد، ثم ينصب نفسه ـ دونما تكليف ـ للدعوة إلى الله أقـول: ينصب نفسه وصيا على الناس ويروح يهرف بما لايعرف، ويجادل الناس بامور الدين عن جهل وتطرف.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ (١)

وربما دفعه تهوره وتحمسه إلى أن يقتحم على الناس منازلهم او متاجرهم، أو يعترضهم في طريقهم متخذا العنف وسيلة والغلظة والفظاظة اسلوبا كأن

---

(١) سـورة الحج ـ الآية رقم (٨).

الناس سينصاعون لعنفه وغلظته، وفظاظته جاهلا بذلك نواميس الحياة، وخصائص النفوس البشرية التي جبلت على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الانسان إحسان

ومن أخلاق الداعية وصفاته الصبر على الأذى

الصـــبر

فلابد للداعية من التحلي بهذا الخلق العظيم، وهو الصبر وتحمل الأذى. فهو قد يواجه مشاق كثيرة، وصعاب جمة، وقد يواجه بالعنف واللوم والاساءة والاذى، فعليه أن يصبر ويتحمل ذلك كله لأنه يصبو إلى هدف أعلى وأسمى ألا هو إزالـة المنكر وحب الخير لكل الناس والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لابد أن يقابل بشيء من الإنكار أو الإستنكار والتقريع والايذاء، لان الامر بالمعروف معناه أن يامر الناس بتغيير سلوكهم من السيء الى الحسن ومن القبيح إلى الجميل وبذلك يكون تغيير سلوكهم الى الأفضل والأمثل.

والناهي عن المنكر يدعو الناس أن ينتهوا عما الفوه أو تعودوه من اقتراف المنكـــر وتغيير سلوكهم وعـــاداتهم وهـذا من أصعب الأمـور على النفس والبشرية، فعلىٰ الداعية أن يتحلى بالصبر والاناة ويستمسك بحبل الله المتين ولاشـك أن التحلي بالصبر على دعوة الناس وتحمل الاذى منهم لهو اكبر الدلائل على عظمة الانسان الداعي لأن ذلك من صفات الرسل أولي العزم والـدليل على ذلـك دعوة الله تعالى رسوله محمد [ﷺ] حين تعرض لأذى المشركين أن يصبر على الأذى كما صبر رسل الله أو العزم فقال له:

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (١)

---

(١) انظر سورة الأحقاف الآية رقم (٣٥)

فالصبر هو أساس دعوتنا وحب الخير للناس كل الناس هو هدفنا واسمى أمانينا

وقال على لسان الرسل الذين اوذوا فيه حين قاموا بالدعوة اليه وإعتناق رسالاته.

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١)

ولاشك أن الصبر على الأذى في الدعوة إلى الله يؤهل المؤمن ليكون أماماً من أئمة الفكر ورجلا عظيما من رجال الدعوة لأنه قائم بأمر الله العظيم الذي جعله فيه خليفة له في أرضه ولا أدلَّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (٢)

ولننظر في سيرة النبي العظيم محمد [ﷺ] مبعوث العناية الألهية والرحمة المهداة الى الخلق كل الخلق، فهي مليئة بالمواقف التي تدعو المتأمل في سيرتـه الى العـظة والعبـرة، والسير على طريقته ومنهاجه في تحمل الأذى والصبر الجميل مراعاة لسنن الله في خلقه.

(١) انظر سورة إبراهيم الآية رقم (١٢).
(٢) انظر سورة السجدة الآية رقم (٢٤)

مراعـاة سنن الله في خلقه

وتجـدر الاشـارة هنـا إلى أن تغيير المنكر المطلوب لايتم بين عشية أو ضحاها، وإنما ذلك يتم بالتدريج خطوة خطوة وبالمتابعة المستمرة دون كلل أو ملل، فالـدعـوة الإسلامية استمرت في مكة عشر سنوات، ما زاد عدد المسلمين في المرحلة المكيه عن بضع عشرات لأنها مرحله التغيير الجذري في العقيدة والفكـر والتصور والسلوك فكانت الأساس لما بعدها ثم جاءت المرحلة المدنية، واكتمل الدين الاسلامي بعد ثلاث وعشرين سنة من بدء الدعوة وتم بناء الدولة بفضل صبر الرسول وصحبه الكرام الذين تمثلوا القدوة الحسنة في شخصية الرسول ﷺ.

القـدوة الحسـنة

يجب أن يكون المتصدي للدعوة قدوة صالحة حسنة في كل الأمور، في العبادة والمعاملة، والسيرة الذاتية، والسلوك الأنساني الذي تتمثل فيه اسمى معـاني الـرحمـة التي تتنزل على الفرد والاسرة والجماعة كما كان الرسول العظيم محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين.

ولابد للداعية أن يكون مهيبا محبوبا في آن واحد، ينظر إليه الناس نظرة الهيبة لقوة شخصيته، ثـم تتعلق به قلوبهم لما يتمتع به من رحمة بهم وشفقة عليهم.

لقد كان أصحاب الرسول ﷺ لايحدون إليه النظر مهابة له، وأما الحب فكانوا جميعا يفدونه بأنفسهم وآبائهم وأمهاتهم. والدليل على ذلك ما نقلته إلينـا كتـب السير من قولهم بأبي أنت وأمي يارسول الله معناه فداك أبي وأمي يارسول الله.

وما ذلك إلا لأنه كان القدوة المثلى في كل شيء.

ومن دواعي تمثل الناس للقدوة الحسنة أن الآمر بالمعروف عليه أن يترجم الأمر بالمعروف في شخصه قولا وعملا فيأتيه قبل أن يدعو إليه ليقتفي أثره ويستجاب لأمره.

وكـذلك الناهي عن المنكر عليه أن يترجم الأمر بالنهي عن المنكر في شخصه قولا وعملا فينتهي عن المنكر ليقتفي اثره ويستجاب أمره.

انظر إلى الخبر الذي رواه إماما المحدثين البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار: فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحىٰ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون:

يافلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه).

فهذا الحديث يبين حال من سيعذب بسيئاته ممن كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه في نار جهنم، يؤتي به يوم القيامة فيلقى في النار على طريق القـذف المـذل المهين، فيصطدم بما في النار اصطداما عنيفا يحـطمه ويشق بطنه، فتندلق أقتاب بطنه من دبره أي تخرج أحشاؤه بتتابع سريع، فتلمس شدة العذاب أنها أمعاء كان يأكل فيها الأموال باسم الدين.

إن هذا العذاب الذي يناله هذا الفريق الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، هو نتيجة المقت الرباني الذي يحل بالذين يقولون مالا يفعلون، إنه لمقت كبير عند الله أن يقولوا مالا يفعلون.

اسمع قول الله تبارك وتعالى ماذا يقول عنهم في كتابه العظيم القرآن الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ (١)

وقد استنكر الله جل في علاه هذا الخلق الذميم من اليهود أشد الاستنكار، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ (٢)

إن هذا التباين بين ما يدعو الانسان إليه من فضائل، وبين ما يفعله مما يناقض علمه في ذاته ونفسه ويمارسه فعلا تباين يتنافى مع الفضيلة والأخلاق الحميدة.

---

(١) انظر سورة الصف الآيتان رقم (٢-٣)

(٢) انظر سورة البقرة الآية رقم (٤٤)

اللين والتواضع

إن لين الجانب والتواضع للناس لهي من أرفع الصفات منزلة لذلك أمر العليم الخبير بالنفس الإنسانية محمداً ﷺ فقال له:

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ (١)

فالتواضع للمؤمنين وعلى وجه الخصوص للفقراء منهم والمعوزين والضعفاء واليتامى والمساكين والمرضى والعجزة والغرباء لهو من أوجب الواجبات فإذا كان الأمر بذلك لمحمد ﷺ من السماء فمن باب أولى أن يكون واجباً على من دونه من أتباعه.

وفي سيرة الرسول الخلقية ﷺ أبلغ العبر لدعاة الماضي البعيد والأمس القريب واليوم فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئا على عصا فقمنا فقال ﷺ: «لاتقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا» (٢).

في رواية أخرى قال أيضا:

«إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» (٣).

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويقوم بحاجة نفسه وأهل بيته، ويحلب شاته ويقم البيت، ويأكل مع الخادم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: أنه كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها.

---

(١) انظر سورة الحجر الآية رقم (٨٨)

(٢) رواه ابو داوود في سننه بسنده عن ابي أمامة (ك ـ الأدب ـ باب في قيام الرجل للرجل رقم ٥٢٣٠) واخرجه ابن ماجة في الدعاء برقم ٣٨٣٦ ـ وهو عند أحمد في مسنده ـ ٥/٢٥٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء

إن التـواضع أدب رباني يتجنب به المسلم الصادق الفخر والاختيال ، فالانسان العاقل الرشيد لايمشي على الأرض شامخا بأنفه . . مصعرا خده . . ثانيا عطفه . . متعاليا على سواه . فالقرآن يكسر جبروت المتكبر، ويتهكم عليه وعلى سلوكه التافه مخاطبا إياه بقوله :

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [١].

ومن منهج مدرسة محمد ﷺ وتعاليمها السماوية السامقة تعلم الصحابة رضوان الله عليهم جميعا الأدب الرباني من معلمهم الأول محمد ﷺ .

فهـذا الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٢] لما سير جيش أسامة سار يودعه وأسامة راكب على راحلته فقال : يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن . فقال : والله لا ركبت ولا نزلت، وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة .

وهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني رضي الله عنه[٣] يحمل الدقيق على ظهره للمرأة العجوز . . . وينفخ لها النار لانضاج الطعام لأطفالها .

وهذا عثمان بن عفان الخليفة الثالث رضي الله عنه[٤] كان يلي وضوء الليل بنفسه .

فقيل له : لو أمرت بعض الخدم فكفوك ذلك .

فقال : لا إن الليل لهم يستريحون فيه .

وهذا علي بن أبي طالب[٥] الخليفة الرابع رضي الله عنه اشترى من السوق تمرا بدرهم ، فأخذه في ملحفته .

---

(١) انظر سورة الأسراء الآية رقم (٣٧)

(٢) انظر فضائله عند احمد بن عبد الله الاصبهاني المتوفي سنة (٤٣٠) ب هـ ن في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء من صفحة (٢٧-٣٨) .

(٣) انظر المصدر السابق من صفحة (٣٨ ـ ٥٥)

(٤) انظر المصدر نفسه من صفحة (٥٥ ـ ٦١)

(٥) انظر ايضا المصدر نفسه من صفحة (٦١ ـ ٨٧)

فقال له رجل: أحمله عنك يا أمير المؤمنين.

فقال: لا. أبو العيال أحق أن يحمل.

أولئك هم عباد الرحمن واشباههم وأمثالهم من الدعاة إلى الله من أبناء الأمم الغابرة واللاحقة الذين أثنى عليهم الله تبارك وتعالى جل جلاله في علاه فقال عنهم: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾[1]

ذلك هو تجاوب النفوس المؤمنة مع الوحي الألهي فهو غاية التألق الروحي وقمة الحق الذي أصبح غريزة فيها تلك هي حقيقة الدعاة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فعلى دعاة اليوم أن تتجاوب نفوسها مع الوحي الألهي كي تتألق أرواحها وترتفع بالأمة إلى قمة المجد في قيادة العالم والأمانة والعفة والصدق جزء لايتجزأ من كيان الداعية وشخصه قولا وعملا.

---

(١) سورة الفرقان الآية رقم: ٦٣.

الأمانة والعفة والصدق في القول والعمل

الصدق ـ قولا وعملا ـ من أهم صفات الداعية إلى الله فلا يجوز أن يجرب عليه كذب، فتنصرف قلوب الناس عنه فيسقط حديثه العذب وكلامه المنمق من أعينهم، فالصدق يهدي الى البر والبر يهدي إلى الجنة والكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، ثم على الداعية أن يتخلق بالعفة عن أموال الناس ويكون أميناً عليها وعلى أعراضهم ولايقرب الفواحش، فينأى بنفسه عن مواطن الشبه وأماكن الفسق والفجور ومواقع التهم التي يرتادها تجار المنكرات كالدخان والمخدرات لأن وجوده فيها يسقط عدالته فأمانة الداعية، لاتنصب على الأمانة في المعاملات المالية فقط، إنما هي أمانة لها شمولية واسعة المجال متعددة الأطراف والجوانب.

فالـداعية عليه أن يحفظ الأسرار فحفظها أمانة ونشرها بين الناس خيانة وفتنة والفتنة نائمة لعن الله موقظها فعليه أن لا يوقع بين الناس بما عرف من أسرارهم.

ورواية الأحاديث والمأثورات أمانة فعلى الداعية أن ينقلها كما وردت في الكتب الصحاح المعتبرة عند أئمة أهل القرآن أهل الأثر، وهكذا يتسع معنى الأمانة وتتسع صفتها في شخص الداعية فعليه أن يترجمها قولا وعملا وعليه أن يكـون خبيراً واعيا وعيا تامـا لما يعترض النفس الإنسانية من مشكلات وكذلك العالم في أوضـاعه.

الالمـام بالمشكـلات الإنسـانية

على الـداعية أن يكـون على وعي تام بالمشكلات الإنسانية والاوضاع العالمية فالخبير بالنفوس وما تنطوي عليه يستطيع من نظرة خاطفة أن يكشف ما وراءها ويستكشف خباياها وعليه أن يكون ذا عقل وفكر لماح ليتمكن من حمل رسالة رب الناس الى الناس وعليه أن يعرف مواقع المسلمين من خلال دراسته لخريطة العالم وما يتعرض له الاسلام والمسلمون من المحن قتلا وتشريدا وسبا وشتما في تلك الاقطار من الأرض حتى يوقظ النيام وينبه الاذهان الى ذلك الخطر العظيم الذي يؤدي إلى إبادة المسلمين وتصفيتهم جسديا وهتك أعراضهم وإجلائهم عن الأرض التي خلقوا منها وعاشوا عليها أرض الآباء والأجداد.

فعلى الداعية أن يدعوا إلى تعاطف المسلمين مع إخوانهم ليشاركوهم في حل مشكلاتهم ولابد للداعية من نظرة تأمل لاحوال المسلمين وأوضاعهم في العالم ليشارك في وضع الحلول الناجحة لأوضاعهم الداخلية على الصعيد الدولي وإثارة ذلك في الهيئات الدولية كهيئة حقوق الإنسان ومجلس الامن الدولي ومحكمة العدل الدولية وهيئة تقصي الحقائق وتنظيم البيانات المفصلة عن جرائم القتل والتشريد وكبت الحريات وهتك الأعراض والاستيلاء على الأموال والممتلكات الى غير ذلك من الجرائم التي ترتكب بحق أبناء الأمة الاسلامية في أصقاع الدنيا من مشارق الأرض إلى مغاربها.

حلو الحديث فصيح اللسان جامع البيان

وعلى الداعية أن يكون حلو الحديث فصيح اللسان جذابا يأخذ بالالباب بفصاحته وبيانه وحسن القائه وعرضه فإن ذلك من عوامل القبول لحديثه والرسول الكريم ﷺ يقول:

«إن من البيان لسحرا» (١)

كما عليه أن يتسلح برياضة روحية مستمرة يفيض منه إيمان عميق يمازج روحه فيسري في جسده ويتفاعل معه إلى مستمعيه.

ومن أساليب الدعوة إلى الله الناجحة التشويق:

وعرض القصة بأسلوب يأخذ بجميع جوارح المستمعين اليه.

الاستشهاد بالقصص وعرضها باسلوب جذاب

وعلى الداعية أن يثري فكره بالقصص المتوقة لأن النفس البشرية محبب إليها أسلوب القصص وخالق النفس البشرية هو اعلم بما يصلح لها ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى في سورة يوسف الآية رقم (٣):

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

إن في القرآن الكريم قصصا كثيرة، يمكن أن يستخدمها الداعية لجذب قلوب الناس وعقولهم.

وكذلك السنة النبوية المطهرة مليئة بالقصص الواعظة المعبرة، مثل قصة (الأقرع والأبرص والأعمى) وقصة (الثلاثة الذين دخلوا الغار)

---

(١) أخرجه ابو داوود في سننه ـ ك الادب ـ باب ماجاء في الشعر من حديث ابن عباس رقم ٥٠١١، ٥٠١٢. ورواه الامام احمد في مسنده / ٢٦٩.

كذلك قصص الغزوات يمكن سردها وتقريبها لاذهان الناس بشكل محبب جذاب على أن لايخرج الداعية عن الأهداف الرئيسية للحديث وتكون القصة ومغزاها مطابقين تمام المطابقة لأصل الحديث أو الموضوع .

الحوار عن طريق السؤال

وعلى الداعية أن يلتزم بأسلوب الحوار عن طريق طرح أسئلة والأجابة عليها أثناء التحدث إلى الناس وقد استخدم هذا الأسلوب الرسول ﷺ اثناء حواره مع معاذ بن جبل فقال له:

(أتدري ما حق الله على عباده)

فيرد معاذ: الله ورسوله أعلم

فيقول الرسول ﷺ:

«حق الله على عباده أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا».

ويسأل الرسول ﷺ:

«أتدري ما حق العباد على الله»

فيجيب معاذ:

الله ورسوله أعلم.. إلى آخر الحديث.

وحديث آخر يقول فيه الرسول ﷺ:

«أتدرون من المفلس»[1].

وللحوار والمساءلة أثر كبير في تنبيه الأذهان، فيشارك جميع الحاضرين في الاستماع، ويشارك بعضهم في الكلام.

---

(١) هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦/١٣٥-١٣٦) والترمذي رقم (٢٥٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٢/٣٠٣، ٣٣٤) والبيهقي (٦/٩٣) في السنن وله متابعة عند الخطيب البغدادي والحديث كما رواه أبو هريرة قال: «أتدرون من مفلس أمتي؟ قلنا: لا. قال: المفلس الذي يجيء يوم القيامة، قد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، فتؤخذ من حسناته فتوضع على حسنات الآخر فإن فضل عليه أخذ من سيئات الآخر فطرحت عليه ثم يُلقى في النار.

ضــــرب الأمثـــال

ومن الـطـرق والأسـاليب المشـوقة في الدعوة إلى الله التي يجب على الداعية أن يسير في فلكها ضرب الأمثال، وفي القرآن الكريم أمثال كثيرة يثري فكره فيها ضربها الله للناس لتكون عظة وعبرة وصرفها في القرآن الكريم ليتدبر النـاس مغـزاهـا ومـرمـاها ويسلكوا بعد تلاوتها وتدبرها سبل الخير والرشاد ويبتعدوا عن سبل الضلال والغواية فعلى الداعية أن يرشد الناس إلى تلك الأمثال لتكون لهم نورا وهداية ـ أنظر الى قوله تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (٢)

ثم انظر وتدبر قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (٣)

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٣٢)

(٢) سورة الكهف ـ الآية رقم (٤٥)

(٣) سورة ابراهيم من الآية رقم ٢٤-٢٦

كذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)﴾ (١)

أرأيت ـ أخي الداعية الكريم ـ كيف يسمو المثل القرآني بالفكر الإنساني ويرتقي به إلى أعلى مراتب الإنسانية فيملؤه رغبة ورهبة وخشية وإيمانا فيهجر كل مفسـدة وضلالة وكل غي وطغيان وينظر فيه بعين البصيرة وفي اغراضه واهدافه فيترجم ذلك قولا وعملا.

وكذلك في السنة النبوية أمثال كثيرة جدا كان الرسول ﷺ يضربها لأصحابه ليعلمهم ويسمو بأنفسهم.

ومن هذه الأحاديث:

«مثـل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى» (٢).

(١) سورة النور ـ الآيتان ٣٩ ـ ٤٠

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك البر والصلة ـ باب تراحم المؤمنين من حديث النعمان بن بشير (رقم ٢٥٨٦ ـ ٤/١٩٩٩، ٢٠٠٠) وانظر متابعة رقم ٦٧، وكذلك أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٢٧٠

التنوع في طـرق العـرض

يجب على الداعية إلى الله أن ينوع في طرق عرضه وأساليبه ، ولايسير فيها على وتيرة واحد فمن آية قرآنية وشرحها ثم استنباط الأحكام منها إلى قصة عن الأمم الغابرة من القرآن الكريم،أو حديث من كتب التاريخ والسير والمغازي

كما يجب عليه أن لاينسى واقعنا المعاصر فلابد له من أن ينتقي قصصا واقعية ، كما يجب عليه أن يستشهد باحداث ووقائع يعرفها الناس ثم يستخرج منها عبرا ومواعظ .

عـذب الصـوت

على الداعية إلى الله أن يكون عذب الصوت له طلاوة وحلاوة وعليه أن يلون صوتـه بحسب المعاني التي ستكون في الجمل فإذا كان في الجملة إستفهام أتى به في صيغة الاستفهام وإذا كان في الجملة عبارات التعجب أتى بها بصيغة التعجب وإذا كان في الجملة عبارات تبين بشارة أتى بها بصيغة البشـارة وعلى الداعية أن يخرج حروف الكلمات من مخارجها أثناء عرض افكاره ويتحدث بهدوء وسكون وروية كلمة كلمة بصورة يستطيع معها السامع متابعته فكرة فكرة وعليه أن يعطي لكل مقام مقالا ولكل مجلس ذكرا ولكل حالة لبوسها

وعليه أن يكون حكيما عاقلا عليما حليما يعرف مدخل كل مقام والحديث فإذا دعي إلى الكلام في ذاك المقام أو ذلك المجلس كان عليه أن يستحوذ على قلوب سامعيه ليبث أفكاره في قنواتها كي ترتوي القلوب وتسعد النفوس فتؤتي دعوته ثمارها كل حين باذن الملك الديان والنصح والتوجيه والارشاد بدون تشهير علامة من علامات نجاح الداعية.

عدم التشهير

على الداعية عدم التشهير بالأشخاص أو الهيئات أو الجماعات لأن ذلك من شعائر دعوتنا وألا يواجه الناس بما يكرهون، وإذا رأى عيبا أو انحرافا قومه من غير إيذاء أو رعونة أو عورة من عورات الناس غض الطرف عنها فلا يصطدم مع أحد علنا ويجهر بالسوء على مسمع ومرأى من الناس وإنما يستخدم من أجل ذلك الحكمة والقول الحسن.

اقرأ قول الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [١]

فمن يجهر بعيب أو انحراف كائناً من كان من الناس فإنه يريد بذلك فضحه، ولا يريد هدايته البتةً ولا إعادته أو إرجاعه إلى الجادة والطريق السوي والصراط المستقيم فعليه أن يلجأ إلى أسلوب التورية والمداراة ولفت نظره باسلوب رقيق ولا يكون ذلك إلا بالتلميح دون التصريح وبالقول الحسن بدون غلظة أو فظاظة أو فحص أو فحش بل بأسلوب من أساليب الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع من لغة العرب النابضة كأن يقول في معرض حديثه:

(ما بال أقوام يفعلون كذا، وكذا أو يقولون كذا وكذا).

كما كان رسول الله ﷺ يفعل في مثل هذه الأحوال.

كقوله ﷺ

(ما بال أناس يشترطون شروطا ليست في كتاب الله..). [٢]

---

(١) سورة النساء الآية رقم (١٤٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب المكاتب من حديث عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها (الفتح ٥/١٨٥ رقم ٢٥٦٠) ورواه مسلم وأصحاب السنن أيضاً.

المســلم
أخـلاقه وصفــاته

القرآن الكريم تحدث عن مكارم الأخلاق ومحامد الخصال فكان ولا يزال رائدا لكل مؤمن راغب في التحلي بالفضائل فقال تعالى في سورة الاسراء الآية التاسعة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾
وقال ﷺ:

«إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» [1].

وفرق كبير بين الخلق والتخلق فالأخلاق سجايا وطبائع والتخلق تكلف من الانسان يحاول به أن يظهر من أخلاقه خلاف ما يبطن قال زهير بن أبي سلمى المزني:

ومهما تكن عند امريء من خليقة [2] وإن خالها تخفي على الناس تعلم [3]

والنواحي الاخلاقية كثيرة تحدث عنها القرآن الكريم وكتب السنة الصحاح والسيرة النبوية العطرة وكتب الأعـلام من رجال الفكر والدعوة وعلماء الأخـلاق.

فقــالوا:

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٧٣) وابن سعد في الطبقات (١٩٢/١) والحاكم (٦١٣/٢) وأحمد (٣١٨/٢) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وراجع كنز العمال رقم (١٦٦٥٢) وله رواية أخرى (إنما بعثت لأتمم مصالح الأخلاق) ذكرها أحمد في المسند (٣٨١/٢).

(٢) الخليقة: الطبيعة التي يُخلق بها الانسان، تقول العرب إنه لكريم الطبيعة. والخليقة والسليقة كلها بمعنىٰ واحد. انظر محمد بن مكر بن منظور الأنصاري في كتابه الحان العرب.

(٣) انظر الدكتور مفيد قميحة كتابه شرح المعلقات العشر، معلقة زهير بن أبي سُلمىٰ المزني ص (١٦٠) م دار ومكتبة الهلال ـ بيروت.

الأخـلاق ترجع إلى قيم ثـلاث هي :

الجمــال الخير الحــق

وأن الدين هو:

القوَّام عليها الداعي لها الحارس لها

وقـد بلغت عنـوانـاتهـا مائـة وتسعـة وعشرين عنوانا عند الدكتور أحمد الشرباصي في موسوعته أخلاق القرآن الكريم فمن أرادها خُلقا خُلقاً فليرجع إليه فإنـه كتاب مفيد انصح كل إنسان بالعودة إليه والاستفادة منه فإنه كتاب عظيم الفائدة جليل النفع للدعاة الى الله وغيرهم من العامة والخاصة وإنني سأذكر بعضا من تلك العنوانات فمنها :

المـراقبة : الله هو الرقيب على السرائر قائم على كل نفس بما كسبت قال الشرباصي يقول ابن القيم :

(المراقبة دوام علم العبد باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه فاستـدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي غرة علمه بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نَفَس وكل طرفـة عين.)[(١)]

انني أكتفي بذكر هذه الصفات التي يجب على المسلم أن يتصف بها لأجعل مـن اطلع على كتابي هذا في شوق وتلهف لمراجعة تلك الصفات الجليلة والأخلاق الحميدة الصالحة النافعة للفرد والأسرة والجماعة فهي :

- العفه
- المراقبة
- العزة
- العدل
- العفـو
- الصدق

(١) انظر الدكتور أحمد الشرباحي موسوعته ٤ (١) ص (٩) م دار الرائد العربي بيروت

- الايثار
- الرضى
- التواضع
- الطمأنينه
- الحياء
- الثبات
- السكينة
- الشكر
- الرحمة
- الاعتبار
- التذكر
- العبودية لله
- الخوف من الله
- الاستقامة
- الخشوع لله
- الحلم
- الصبر
- التقوى
- الحمد
- التدبر
- التفكر
- البر
- المسارعة إلى الخير
- الانابه
- الأمانه
- المحبة
- الاحسان
- التوبة
- كظم الغيظ
- الفتوة
- الحذر
- الاعراض عن اللهو
- التوسط
- المسابقة الى الخيرات
- التحنف
- لوم النفس
- القنوت
- الاخلاص
- الوفاء
- التوكل
- الرجاء
- الاخبات
- القوة
- غض البصر والصوت

- تبين الأمور
- خفض الجناح
- الخشية
- التطهر
- المصاحبة بالمعروف
- الحكمة
- طيب الكلام
- الدفع بالحسنى
- الشهادة
- الستر
- التعوذ
- المجاهدة
- اليقين
- الدعوة إلى الخير
- الأمر بالمعروف
- النهي عن المنكر
- عظة بالغة
- التفويض
- العزيمة
- الارادة
- الاشفاق
- حسن الظن
- الصفح
- الاعتصام بالله
- الفرح بفضل الله
- سلامة القلب
- المعرفة
- الحياة
- التقدير
- المودة
- الافتقار إلى الله
- الاستجابة
- الغنى بالله
- الثقة بالله
- التواصي بالخير
- الصلاح والاصلاح
- الوجل
- الأسرة
- التياسر
- الاحتساب
- ابتغاء الطيب
- التبتل
- التطوع
- الاستبشار

- ذكر الله
- ابتغاء وجه الله
- اقامة الوجه لله
- القسط
- النصيحة
- الاتباع
- الهجرة
- الاسـلام
- التعاون
- القصد
- كف الأذى
- التأديب
- الطاعة
- التبصر
- التنفل
- الدعاء
- الحفظ والمحافظة
- روح السـلام
- التمتع بالطيبات
- الاعداد والاستعداد
- التحدث بنعمة الله
- تنظيم شعائر الله
- التنافس في الخير
- الشوق الى لقاء الله
- الفرار إلى الله
- السلوك
- الغيره
- النظر
- الصفاء
- التماس العذر للناس
- الأدب
- الاستئذان
- مقاومة الهوى
- الرعاية
- القربة

النفس الإنسـانية وتهذيبها

النفس الإنسانية آية من آيات الله الباهرات كالشمس والقمر والليل والنهار لذلك دعا الله المؤمنين إلى التأمل في أنفسهم كما دعاهم إلى التأمل في آيات الكون فقال:

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ (١)

هذه دعـوة من الله إلى التأمل في آيات الله في النفس البشرية وأحوالها تجعل التأمل فيها عبادة يتقرب فيها المؤمن إلى ربه.

والاهتمام بأحوال النفس الإنسانية جاء ليربط الأعمال كلها خيرها وشرها بالنية فكان من ذلك الاهتمام أنه لابد للمؤمن من أن يوجه وعيه إلى ما يحيك في صدره قبل أن يسلك اي سلوك.

فقال تعالى: (٢)

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾

فالتأمل الذاتي المستمر في النفس البشرية ضرورة هامة من اجل تغيير ما فيها نحو الخير وكل تغيير نحو الخير ينتظره الفرد والمجتمع فالتغيير يبدأ من النفس لذلك بين لنا العليم الخبير في سورة الرعد الآية (١١) فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾

معنى ذلك أن الله يغير من حال إلى حال حسب التغيير في النفس الإنسانية فإذا كان التغيير نحو الخير أصاب الأمة جميعها الخير وإذا كان التغيير في النفس الإنسانية نحو الشر أصاب الأمة جميعها الشر انظر إلى هذا المعنى

---

(١) انظر سورة الذاريات الآيتان رقم (٢٠ و ٢١)

(٢) انظر سورة الشمس الآيات من رقم (٧-٩)

كذلك في الآية (٥٣) التي ذكرها الله في سورة الانفال فقال عز من قائل:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

وكما احب الله الخير، وحبب الناس اليه، ووعد النفس الإنسانية التي تهفو إلى الخير الثواب الجزيل وهو الفوز بالجنة، فإنه حذر النفس الإنسانية التي تتبع الهوى وتنزع إلى الشر أن مصيرها إلى جهنم وبئس المصير.

لذلك أمر الناس بالابتعاد عن المحرمات وكبت غرائزها الشريرة والاستقامة على الطريقة ولو إستقاموا على الطريقة لاسقاهم ربهم ماء غدقاً، أو الجري وراء الهوى والانصياع إلى وساوسه، ينذر بفناء الأمم ويجعلها ربها أثرا بعد عين في الحياة الدنيا ويذيقها العذاب الشديد يوم البعث والنشور يوم الجزاء والحساب قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ (١)

---

(١) انظر سورة ص الآية رقم (٢٦)

إن في الدين الإسلامي طاعات معينة ألزم بها أتباعه، غير أنه في التعاليم الخلقية كلف المسلم أن يلقى أهل الأرض قاطبة بفضائل ومكارم أخلاقية لاترقى إليها شبهة، فالصدق والأمانة والوفاء والمروءة والتعاون والكرم والسماحة واجبات على المسلم مع المسلم وغيره.

لذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ألا نجادل أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (١).

حدث مرة أن يهودياً كان له دين على النبي ﷺ، فجاء قائلا، إنكم يابني عبد المطلب قوم مطلٌ . فرأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يؤدب هذا المتطاول على مقام الرسول ﷺ وهم بسيفه يريد قتله، لكن النبي ﷺ أسكت عمر قائلاً: «أنا وهو أولى منك بغير هذا: تأمره بحسن التقاضي، وتأمرني بحسن الأداء» (٢).

ومن آيات حسن الخلق مع أهل الأديان الأخرى، ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أأهديتم لجارنا اليهودي أأهديتم لجارنا اليهودي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٣).

---

(١) سورة العنكبوت الآية رقم (٤٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢/٣١٠ ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٣٢

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب ـ باب الوصاة بالجار رقم ٦٠١٤ من حديث عائشة راجع الفتح ١٠/٤٤١.

وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «**الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقاً، وجار له حقان، وجار له ثلاث حقوق، وهو أفضل الجيران مطلقا.**

فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لارحم له، له حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم، له حق الجوار، وحق الإسلام وحق الرحم»[1].

فالاسلام حريص على أن يفي كل جارٍ لجاره بالأمان من ظلمه فلا تستباح محارمه، ولا ينال عرضه ولا يستحل ماله. وقديماً قال الشاعر:

واغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

وكذلك أمر الإسلام أن يصل الإنسان رحمه، ولو كفروا بدينه الذي اعتنقه، فإن التزامه للحق لايعني المجافاة للأهل.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾[2]

وقد غسل علي بن أبي طالب أباه عند موته وهو مشرك، وكان من الصلة، وكذلك وصلت أسماء بنت أبي بكر أمها وهي مشركة وقد أمرها بذلك رسول الله ﷺ، وهناك صور كثيرة من عطف وصلة الصحابة لأمهاتهم وآبائهم المشركين[3].

ومن الناحية العامة فقد قرر الإسلام أن بقاء الأمم وازدهار حضارتها واستدامة منعتها، إنما يكفل لها إذا ضُمِنَتْ حياة الاخلاق فيها، فإذا سقطت

---

(١) رواه البزار في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) سورة لقمان ـ الآية رقم ١٥

(٣) انظر كتاب البر والصلة من مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن ابي شيبه، وانظر الأدب المفرد.

الأخلاق سقطت الدولة معها وفي الشعر ما يدل على ذلك.

وإنمـــا الأمم الأخـلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخـــلاقهم ذهبـــوا

إن القاضي النزيه يكمل بعدله نقص النظام الذي يحكم به، أما القاضي الجائر فهو يستطيع الميل بالنصوص المستقيمة. وكذلك نفس الإنسان حين تواجه ما في الدنيا من تيارات وأفكار ورغبات ومصالح.

ومن هنا كان الإصلاح النفسي هو الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة.

من معاني الأمانة وضع كل شيء في المكان الجدير به واللائق له. فلا يسند منصب إلّا لمن يستحقه ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها.

ترمز الأمانة إلى معاني شتى، مناطها جميعاً شعور الإنسان بتبعيته في كل أمـر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه على النحو الذي فصّله الحديث الشريف التالي:

قال رسـول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته**»(١)

والعـوام يقصـرون الأمـانـة في أضيق معـانيها وآخرها ترتيباً، وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها في دين الله أضخم وأثقل.

والأمانة تقتضي بأن نصطفى للأعمال أحسن الناس قياماً بها، فإذا ملنا عنه إلى غيره لهوى أو رشوة أو قرابة، فقد ارتكبنا بتنحية القادر وتولية العاجز خيانة فادحة.

قال رسول الله ﷺ: «**من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**».(٢)

ومن معاني الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي ينـاط به، وأن يستنفد جهده في إبلاغه على الوجه الأكمل أي أن يخلص

---

(١) حديث مشهور عند البخاري (انظر الفتح ٣٨/٢) وهو عند الترمذي رقم ١٧٠٥ وعند أحمد في المسند ٥/٣.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٩٢/٤، ورواه ابن حجر في الطالب العالية رقم ٢١٠٣

الإنسان لشغله وأن يعني بإجادته وأن يسهر على حقوق الناس التي وضعت بين يديه، فإن استهانة الفرد بما كلف به، تستتبع التفريط في حياة الجماعة كلها، ثم استشراء الفساد في كيان الأمة. ومن الأمانة ألّا يستغل الإنسان منصبه الذي عين فيه لجر منفعة شخصية على أي شكل كانت، فإن التشبع من المال العام جريمة.

والمعروف أن الحكومات أو الشركات أو المؤسسات تمنح العاملين لديها أجوراً معينة، فمحاولة التزيد عليها بالطرق الملتوية هي اكتساب للسحت. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ (١)

وقال رسول الله ﷺ: «**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول**»(٢).

وقد شدد الاسلام في ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ، وشدد في رفض المكاسب المشوبة. فمن أخذ غير حقه فإنه اختلاس من مال الجماعة الذي ينفق في حقوق الضعفاء والفقراء، ويرصد للمصالح الكبرى.

وقد حدث أن استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له «ابن اللُّتبية» على الصدقة، فلما قدم بها قال: هذا لكم وهذا أهدي إلى فقام رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلى، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً**

---

(١) سورة آل عمران - الآية رقم (١٦١).

(٢) رواه أبو داود في كتابه الخراج - باب رقم ١٠.
وابن خزيمة رقم ٢٣٦٩ والبيهقي ٦/٣٥٥.

بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه، يقول: اللهم هل بلغت»(١)

ومن المؤسف أن هناك جمهوراً من الموظفين لايفقهون إلا منطق المال، والدرجة والترقية، ويحتسبون بدينهم ودنياهم داخل هذا النطاق، ويربطون رضاهم وسخطهم، وفتورهم بميزانه المضطرب.

ومن معاني الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها، ويسرد أخبارها، فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وذكرهم ما يدور فيه من كلام، منسوباً إلى قائله أو غير منسوب.

وحرمات المجالس تصان، مادام الذي يجري فيها مضبوطاً بأنظمة الأدب وشرائع الدين، وإلا فليست لها حرمة.

قال رسول الله ﷺ: «**المجلس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق**»(٢).

وعلى كل مسلم شهد مجلساً يمكر فيه المجرمون بغيرهم ليلحقوا به الأذى، أن يسارع إلى الحيلولة دون الفساد جهد طاقته.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان آخر الزمان صارت أمتي ثلاث فرق:**

فرقة يعبدون الله خالصاً.

وفرقة يعبدون الله رياءً.

وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس.

(١) رواه البخاري ٩٢٥، ١٥٠٠، ٧١٧٤، ومسلم ١٢/٢١٨، وأحمد في المسند ٥/٤٢٣، وأبوداود ١٩٤٦، والدرامي ١/٣٩٤ وغيرهم من طرق عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي... الحديث وله عندهم عدة ألفاظ متقاربة.

(٢) مجمع الزوائد ٨/٦٠.

فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذي يستأكل الناس: بعزتي وجلالي ماذا أردت بعبادتي؟ فيقول: وعزتك وجلالك استأكل بها الناس.

قال: لم ينفعك ما جمعت، انطلقوا به إلى النار.

ثم يقول للذي كان يعبد رياءً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟

قال: بعزتك وجلالك رياء الناس.

قال: لم يصعد إليَّ منه شيء. انطلقوا به إلى النار.

ثم يقول للذي كان يعبد خالصاً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟.

قال: بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك من أردت به، أردت به ذكرك ووجهك.

قال: صدق عبدي، انطلقوا به إلى الجنة» (١).

والإخلاص العميق ألزم ما يكون لميادين العلم والثقافة، فإن العلم أشرف ما يميز الله به الأكرمين من خلقه، فمن الزراية الشنيعة به أن يسخر لعوامل الشر، وأن تختلط به الأهواء والفتن، والعالم لم تصبه الجراحات القاتلة إلا على أيدي علماء فقدوا الخلق الفاضل، والنزاهة المحمودة.

وقد أوجب الإسلام على الاستاذ والطالب أن يتجردا للعلم، وأن ينظرا قبل كل شيء إلى المثل العليا والمصلحة العامة، والتعلم والتعليم ابتغاء وجه الله، وألا يجعلاه ابتغاء المال وحده وتلهفاً على المنفعة الشخصية المحضة، كما هو ديدن الآلاف اليوم، فهذا في الحقيقة استهانة بقيمة العلم وإضاعة لرسالته الجليلة.

يقول الرسول الكريم ﷺ: **«من علم علماً مما يبتغي به وجه الله تعالى، لايتعلمه إلا ليصيب عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف (ريح) الجنة يوم القيامة»**(٢).

(١) مجمع الزوائد ١٠/٢٢٢، ٣٥٠ (٢) رواه أحمد في مسنده ٢/٣٣٨.

وقد كره الإسلام كذلك أن يطلب المرء العلم، حتى إذا نبغ فيه استكبر به على الناس، واتخذه وسيلة للشغب والمراء.

قال رسـول الله ﷺ: «**لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا تماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار**»[1].

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١/٨٦ وابن حبان كما في الموارد رقم ٩٠ وابن حجر كما في المطالب العالية رقم ٣٠٢٨

المســلم وقلبــه

قلب المسلم المؤمن يكون دائماً تقياً نقياً، ناصعاً، لا إثم فيه، ولا بغي، سليماً من الضغينة، ومن الأحقاد، يحب الخير للجميع، ويسعى إلى اصلاح ذات البين بين إخوانه المسلمين.

إن المسلم الحق هو الذي يود الناس ويحبهم، ويتعاون معهم على ما فيه الخير، ويجاملهم، وإذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضى بها، وأحس فضل الله فيها، وفقر عباده إليها. قال سبحانه وتعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ (١)

يدعو المسلمون ربهم أن يغفر لهم ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان أي أنهم يحبون الخير لأنفسهم ولإخوانهم المسلمين، ويدعون الله كذلك ألا يجعل في قلوبهم غلاً للذين آمنوا، لأن الخصومة إذا نمت جذورها شلت الإيمان الصحيح وطاشت بألباب ذويها فتعمى النفس عن الفضائل.

وربما عجز الشيطان أن يجعل من الرجل العاقل عابدَ صنم، ولكنه ـ وهو الحريص على إغواء الإنسان وإيراده المهالك ـ لن يعجز عن المباعدة بينه وبين ربه، حتى يجهل حقوقه أشد مما يجهلها الوثني المهرف، وهو يحتال لذلك بإيقاد نيران العداوة في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان برؤيتها، وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم، وتلتهم علائقهم وفضائلهم.

---

(١) سورة الحشر الآية رقم (١٠)

قال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم**»(١).

قال الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لايجبر

ذلك أن الشر إذا تمكن من الأفئدة فتنافر ودُّها، وانكسرت زجاجتها، ارتد الناس إلى حال من القسوة والعناد، يقطعون فيها ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.

قد يحدث أن تشعر بإساءة موجهة إليك، فتحزن لها وتضيق بها، وتعتزم على قطع صاحبها، ولكن الله سبحانه وتعالى لايرضى أن تنتهي الصلة بين مسلم ومسلم إلى هذه المصير.

قال رسول الله ﷺ «**لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»(٢).

وفي رواية لأبي داود: «لايحق لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن ردَّ عليه السلام، فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم، وخرج المسلم من الهجرة» (٣)

والإنسان في كل نزاع يكون أحد رجلين:

إما أن يكون ظالماً.

وإما أن يكون مظلوماً.

فإن كان عادياً على غيره، ناقصاً لحقه، فينبغي أن يقلع عن غيه، وأن يصلح سيرته، وليعلم أنه لن يستل الضغن من قلب خصمه، إلا إذا عاد عليه

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/٣٥٤، ابن كثير ٣/٢٢ والمنذري في الترغيب ٣/٤٥٧.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١/٣،٥،٧. (٣) رواه ابن عدي في الضعفاء ٤/١٥٤٥.

بمـا يطمئنـه ويرضيه، وقد أمر الإسلام المرء ـ والحالة هذه ـ أن يستصلح صاحبه ويطيب خاطره.

قال رسول الله ﷺ: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه، من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم، من قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»**(١).

ذلك نصح الإسلام لمن عليه الحق، أما من له الحق فقد رغب إليه أن يلين ويسمح، وأن يمسح أخطاء الأمس بقبول المعذرة، عندما يجيء له أخوه معتذراً ومستغفراً، ورفض الاعتذار خطأ كبير.

وفي الحديث: **«من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة مكس»** (٢)(٣).

وبهـذا الإرشاد المبين للطرفين جميعاً يحارب الإسلام الأحقاد، ويقتل جرثـومتهـا في المهـد، ويرتقي بالمجتمـع المؤمن إلى مستـوى رفيع، من الصداقات المتبادلة أو المعاملات العادلة.

قال الشاعر:

لايحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينـال العلا من طبعه الغضب

وهنـاك رذائل رهَّب الإسلام منها، وليس يفوت النظر القريب أن يعرف مصدرها الدفين، إنها على اختلاف مظاهرها، تعود إلى علة واحدة هي الحقد.

فالافتراء على الأبرياء جريمة، يدفع ليها الكره الشديد، ولما كان أثرها

---

(١) رواه البيهقي في السنن ٦/٦٥ وانظر الفتح لابن حجر ١١/٣٩٥.

(٢) المكس كما جاء في النهاية لابن اثير: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار. النهاية ٤/٣٤٩.

(٣) هو في مجمع الزوائد ٨/٨١ ومعجم الطبراني الكبير ٢/٣٠٩.

شديداً في تشويه الحقائق، وجرح المستورين، عدها الإسلام من أقبح الزور.

روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أتدرون أربى الرِّبا عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: فإن أربى الرِّبا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ (١) (٢)

ولاشك أن تلمس العيوب للناس وإلصاقها بهم عن تعمد يدل على خبث ودناءة، وقد رتب الإسلام عقوبات عاجلة لبعض جرائم الافتراء، وما يُبَيَّتُ في الآخرة لصنوف الافتراء أشد وأنكى.

قال رسول الله ﷺ: «**من ذكر امرأ بشيء ليس فيه، ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه**»(٣)

وفي رواية أخرى «أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة، وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا، كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال» (٤).

إن سلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يتمنى الخير للناس، إن عجز عن سوقه إليهم بيده.

أما الذي لايجد بالناس شراً فينتحله لهم إنتحالاً، ويزوره عليهم تزويراً، فهو أفاك صفيق.

قال الله تعالى:

---

(١)، (٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٨ أبو يعلى في المسند.

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم ١٦٥٩١.

(٤) انظر الرواية السابقة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (١)

ومن فضل الله على العباد أنه استحب ستر عيوب الخلق، ولو صدق اتصافهم بها، وما يجوز لمسلم أن يتشفى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه. فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد، ويشتهي لهم العافية، أما التلهي بسرد الفضائح، وكشف المستور، وإبداء العورات فليس مسلك المسلم الحق.

---

(١) سورة النور الآية رقم (١٩).

حرَّم الإسلام الغيبة، إذ هي متنفس حقد مكظوم، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»(١).

ومن آداب الإسلام التي شرعها لحفظ المودات، واتقاء الفرقة تحريم النميمة، لأنها ذريعة إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب.

وقد كان النبي ﷺ ينهي أن يبلغَّ عن أصحابه ما يسوؤه، قال ﷺ: «**لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصدر**» (٢).

وعلى من سمع شيئاً من ذلك ألا يوسع الخرق على الراقع، فرب كلمة شر تموت مكانها لو تركت حيث قيلت، ورب كلمة شر سعرت الحروب.

قال رسول الله ﷺ: «**لايدخل الجنة نمام**» وفي رواية «**لايدخل الجنة قتات**»(٣).

---

(١) رواه البيهقي في السنن ١٠/٢٤٧ والبغوي في شرح السنة ٦/٢٢٩. وانظر الفتح فقد جمع ألفاظه ١٠/٤٦٩.

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٨٩٦، وأحمد ١/٣٩٦ والبيهقي ٨/١٠٠.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب رقم ٤٥ رقم ١٦٨، وكذا أحمد في المسند ٥/٣٩١، ٣٩٦

قال العلماء: هما بمعنى واحد. وقيل: النمام: الذي يكون مع جماعة يتحدثون فينقل عنهم. والقتات: الذي يتسمع عليهم من حيث لا يشعرون ثم ينمُّ.

ومن لوازم الحقد سوء الظن، وتتبع العورات، واللمز وتعيير الناس بعاهاتهم، أو خصائصهم البدنية، والنفسية، وقد كره الإسلام ذلك كله كراهية شديدة.

قال رسول الله ﷺ: «**من علم من أخيه سيئة فسترها، ستر الله عليه يوم القيامة**»(١).

وكثيراً ما يكون متتبعوا العورات لفضحها أشد إجراماً وأبعد عن الله قلوباً من أصحاب السيئات المنكشفة، فإن التربص بالجريمة لشهرها، أقبح من وقوع الجريمة نفسها.

وشتان بين شعورين: شعور بالغيرة على حرمات الله، والرغبة في حمايتها، وشعور البغضاء لعباد الله، والرغبة في إذلالهم.

إن الشعور الأول قد يصل في صاحبه إلى القمة، ومع ذلك فهو أبعد ما يكون عن التشفي من الخلق، وانتظار عثراتهم، والشماتة من آلامهم.

وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس، وذلك أنه ربما فشل حيث نجح غيره، وربما تخلف حيث سبق آخرون.

وإن المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة، وأكرم عاطفة، فينظر إلى الأمور من خلال الصالح العام، لا من خلال شهواته الخاصة.

وجمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم، لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلأت به أكف أخرى. وهذه

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/١٠٤. والطبراني في الكبير ١٧/٣٤٩.

هي الطاقة التي لاتدع لهم قراراً.

وعندما رأى إبليس أن الحظوة التي يتمناها قد ذهبت إلى آدم عليه السلام آلىٰ على نفسه ألا يترك أحداً يستمتع بها بعدما حُرِمَها.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[1]

هذا الغليان الشيطاني هو الـذي يضطرم في نفـوس الحاقدين، ويفسد قلوبهم وقد أهاب الإسلام بالناس أن يبتعدوا عن هذا المنكر، وأن يسلكوا في الحياة نهجاً أرقى وأهدأ.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال. فلما كان الغد، قال النبي مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى.**

فلما قام النبي ، تبعه عبد الله بن عمرو ـ تبع الرجل ـ فقال: إني لاحيت[2] أبي، فأقسمت ألا أدخـل عليه ثلاثـاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت.

قال: نعم:.

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار ـ تقلب في فراشه ـ ذكر الله عز وجل حتى

(١) سورة الأعراف ـ الآيتان ١٦، ١٧.

(٢) لاحيت ـ أي خاصمت. انظر القاموس المحيط ولسان العرب.

ينهض لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً.

فلما مضت الليالي الثلاث كدت أحتقر عمله. قلت: ياعبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة. ولكني سمعت رسول الله يقول لك ـ ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك، فانظر ما عملك فأهتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل!! فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟

قال: ما هو إلا ما رأيت.

قال عبد الله: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك!![1].

وقد حرم الإسلام الحسد، وأمر الله رسوله أن يستعيذ من شرور الحاسدين؛ لأن الحسد جمرة تتقد في الصدور فتؤذي صاحبها وتؤذي الناس به.

والشخص الذي يتمنى زوال النعم آفة تحذر غوائلها على المجتمع، ولا يطمأن إلى ضميره في عمل.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«لا يجتمع في جوف عبدٍ غُبارٌ في سبيل الله وفيح جهنم. ولا يجتمع في جوف عبد، الإيمان والحسد»**[2].

والرجل الذي يكره المنعم عليهم، ويود لو يمسون محرومين ويصبحون ضائعين، رجل ضللته عن حقيقة الحياة ظلمات شتى.

إنه أولاً محصور بالدنيا ومتاعها، يقاتل عليه ويبكي وراءه، ويتبع بالغيظ من نالوا نصيباً ضخماً منه.

---

(١) عبد الرزاق في المصنف رقم ٥٥٩.
وعند المنذري في الترغيب ٣/٤٩٥.

(٢) الترمذي رقم ١٦٣٣ ابن ماجه ٢٧٧٤.
ورواه أحمد ٢/٢٥٦

وهذا خطأ في تقدير الحياتين، بل لعله جَهْلٌ أو ذهول عن الحياة الأخرى وما ينبغي لها من استعداد، يجب أن يتأهب المرء له، ويأسى لفواته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (١)

ثم إن الحاسد بعد ذلك، شخص واهن العزم، كليل اليد، جاهل بربه وبسنته في كونه.

ذلك أنه لما فاته الخير لأمر ما تحول يكيد للناجحين!!

قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذا لم ينالو سعيه فالكل أعداء له وخصوم

وكان أجدى عليه أن يتحول إلى ربه، يسأله من فضله. فإن خزائنه ليست حكراً على واحد بعينه، ثم يستأنف السعي في الحياة بعدئذ.

فلعل ما عجز عنه في البداية يدركه ثانية. إن هذا لاريب أشرف من الضغينة على الآخرين.

والبون بعيد بين الحسد والطموح، وبين الحسد والغبطة، وبين الحسد واستنكار العود في الأوضاع والخلط في المنع والعطاء.

فالطموح رغبة في الرفعة وسعي إليها. وذلك شأن الصالحين من عباد الله.

جاء على لسان سليمان عليه السلام:ـ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ (٢)

---

(١) سورة يونس ـ الآيتان ٥٧، ٥٨

(٢) سورة ص الآية رقم (٣٥).

وجاء على لسان عباد الرحمٰن ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾[1]

والتطلع إلى فضل الله مع الأخذ بأسباب اكتسابه شيء غير كراهية فضل الله عندما ينزل بإنسان معين.

والغبطة رغبة المرء في الحصول على نعمة مماثلة لما أكرم الله به الآخرين.

إن الإسلام يتحسس النفوس بين الحين والحين، ليغسلها من أدران الحقد الرخيص، وليجعلها حافلة بمشاعر أزكى وأنقى نحو الناس ونحو الحياة.

في كل يوم، وفي كل أسبوع، وفي كل عام تمر النفوس المليئة من آداب الإسلام في مصفاة تحجز الأكدار، وتنقي العيوب، ولا تبقي في الأفئدة المؤمنة أثارة من ضغينة.

فمن مات بعد هذه المصافي المتتابعة، والبغضاء لاصقة بقلبه لاتنفك عنه، فهو جدير بأن يصلى حر النار. فإن ما عجزت الشرائع عن تطهيره، لاتعجز النار عن الوصول إلى قراره، وكيِّ أضغانه وأوزاره.

والشحناء التي كرهها الإسلام، وكره ما يدفع إليها أو ينشأ عنها، هي التي تنشب من أجل الدنيا وأهوائها، والطماعية في اقتناص لذائذها والاستئثار بمتاعها.

أما البغض لله[2]، والغضب للحق، والثورة للشرف، فشأن آخر.

وليس على المسلم جناح في أن يقاطع حتى الموت، من يفسقون عن أمر الله، أو يعتدون على حدوده. وليس عليه من لائمة في أن يكنَّ لهم البغضاء،

---

(١) سورة الفرقان الآية رقم (٧٤).

(٢) البغض لله: أي لأجل الله.

ويعالنهم بالعداء.

بل إن ذلك من أمارات الإيمان الصحيح، والإصلاح لله وحده.

وقد أمر الله عز وجل أن نجافي أعداءه ولو كانوا أقرب الناس إلينا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ (١)

وابتعاده عمن أخطأ في حق الله، عقاباً له، إلى أجل محدود أو ممدود، لاشيء فيه، فابن عمر هجر ابناً له فلم يكلمه أبداً، لانه ردَّ حكماً لرسول الله ﷺ، كان أبوه يرويه في إباحة خروج النساء إلى المساجد.

---

(١) سورة التوبة الآية رقم (٢٣).

حقوق الدعاة

الدعاة هم مشعل هداية ووسيلة توجيه للمجتمع.

فما هو واجب الأمة نحو الدعاة وحقوقهم؟

مما لاشك فيه أن الدعاة الصادقين صفوة المجتمع، فهم الذين يأخذون بُحجز الناس عن النار، أو هم الذين يسعون جاهدين لإصلاح الآخرين، وقد يضحون بأوقاتهم وراحتهم من أجل توعية الآخرين، وهم مع ذلك لايريدون من الناس جزاء ولا شكوراً ولسان حالهم يقول كما قال الأبرار:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ (١)

وإنما همهم وقصدهم أن يكون الدين كله لله.

فمن أقل ما يجب لهم من حقوق إعانتهم في سبيل تبليغ دعوتهم كل بحسب قدرته. وقد تكون إعانة الدعاة إلى الله بإحدى الطرق التالية:

(أ) إسداء النصح لهم سراً، فالنصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المؤمنين وهذا حينما يقتضي الأمر ذلك.

(ب) الرجوع إليهم في الملمات واستشارتهم بما يعرض للإنسان من مشكلات، فإنهم أنصح الناس للناس، لأنهم أتباع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن قبيل ذلك كان حض الرسول ﷺ لأمته باختيار أمير يتولى أمرهم، فما من ثلاثة يكونون في أرض إلا يجب عليهم أن يؤمروا أميراً عليهم يرجعون إليه ويستمعون إليه ويأتمرون بأمره.

---

(١) سورة الانسان الآيتان رقم ٩، ١٠

(ج) الـدعـاء لهم بظهـر الغيب مقـابل ما يبذلون من نصح وتوجيه وإرشاد للمجتمع، ومعلوم أن دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة

(د) قد يضطر الداعي أمام بعض العقبات المادية، السعي لطلب الرزق، وهذا الأمر قد يعوقه بعض الشيء، ولذا على المسلمين أن يتعاونوا في مساعدة الدعاة، فالله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه.

(هـ) الاحترام اللائق بشخص الداعية، فلا يجب أن نقبحهم ولا أن نجادلهم جدالاً قبيحاً، يخرج بنا عن مضمون الدعوة الصحيح.

(و) على المنـظمـات الإسـلامية والجمعيات والحكـومات الإسلامية توفير أسبـاب الـراحـة للدعاة، وكذلك توفير المراجع والكتب والمصادر التي يرجعون إليها، يجددون علمهم، ويتدارسونه.

وأخيراً يجب على المجتمع أن يراعي هذه الحقوق ويعمل على القيام بها.

خاتمــة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]

فلتكن غايتنا الإصلاح والعودة بالأمة الإسلامية إلى الطريق الصحيح وإن الطريق صعب وطويل وشاق.

وعلينا أن نتسلح بالإيمان والقوة ونتزود بالعلم، والتقوى ونستمسك بكتاب الله وسنة نبيه وتلتف قلوبنا وعقولنا وأيدينا حولهما.

وعلينا أن ننبذ وراءنا الخلافات والاختلافات؛ لأنها تؤدي إلى الفرقة والشقاق والنزاع، وهي من أكبر عوامل الضعف والخذلان.

وإذا أردنا أن ندعو إلى الله اتخذنا من سيرة الرسول ﷺ وطريقته منهجاً ونبراساً. ومن سيرة أصحابه والتابعين لهم بإحسان دليلاً لنا في طريقنا، فالدعوة إلى الله أمانة في أعناق المسلمين وخاصة العلماء، وعلى جميع العاملين في حقل الدعوة داخل البلاد وخارجها أن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا. وأن يلتقوا على مبدأ واحد وغاية واحدة، وألا ينتقص بعضهم بعضاً، أو يستهين به ويزدريه ونتبع في هذا السبيل ما شرعه الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2]

---

(١) سورة النحل الآية رقم (٩٠)

(٢) سورة النحل الآية رقم (١٢٥).

المصـــادر والمراجـــع

المصـــادر والمراجـــع

الله جل جلاله	كتابه : القرآن الكريم
محمد فؤاد عبد الباقي	كتابه : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
عبد الرحمن بن علي بن الجوزي	كتابه : الأذكيـاء
محمد مكرم بن منظور الأنصاري	كتابه : لسان العرب
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	كتابه : سير أعلام النبلاء
محمد مفيد بن عزة الخيمي	كتابه : عقيدة البعث والنشور في سورة (ق)
مجموعة من ذوي الأختصاص اللغوي والفني والمهني	كتابه : المنجـد
الدكتور روحي البعلبكي	كتابه : المورد قاموس عربي انكليزي
الدكتور محمد حسن الحمصي	كتاب الله : القرآن الكريم تفسير وبيان
سعيد حوى	كتابه : إجازة تخصص الدعاة
الدكتور عبد الرحمن حنبكمه الميداني	كتابه : الأخلاق الإسلامية
الدكتور طه جابر العلواني	كتابه : أدب الاختـلاف
علي بن أبي بكر الشهير بالهيثمي	كتابه : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
سعيد حوى	كتابه : الاسـلام
محمد بن ادريس المطلبي الشهير بالشافعي	كتابه : الأم
اسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشهير بابن كثير	كتابه : البداية والنهاية
عبد العظيم المنذري الشهير بالحافظ المنذري	كتابه : مختصر صحيح مسلم تحقيق محدث بلاد الشام ناصر الدين الألباني
محمد بن يعقوب الفيروز آبادي	كتابه : قاموس المحيط
محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري ومسلم بن الحجاج القشير النيسابوري	كتابهما : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جمعه صنفه وشرحه محمد فؤاد عبد الباقي
محمد أبو زهره	كتابه : تاريخ الجـدل
محمد الطبري	كتابه : جامع البيان في تفسير القرآن
صفي الرحمن المباركفوري	كتابه : الرحيق المختوم
عبد الرزاق بن همام الصفاني	كتابه : المصنف تحقيق حبيب الرحمن أبو الأعظمي
محمد ناصر الدين الألباني	كتابه : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها
محمد رشيد رضا	كتابه : تفسير المنار
محمد الغزالي	كتابه : خلق المسلم

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري	كتابه : **الجامع الصحيح تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي**
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري	كتابه : **الجامع الصحيح**
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	كتابه : تقريب التهذيب
عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري	كتابه : السيرة النبوية
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	كتابه : فتح الباري شرح صحيح البخاري
عبد الله بن ناصح علوان	كتابه : كيف يدعو الداعية
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي	كتابه : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (ﷺ) تحقيق علي البجاوي
سيد قطب	كتابه : منهج التربية الاسلامية
عبد الله الحاكم النيسابوري	كتابه : المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ محمد بن عثمان الذهبي
أحمد بن محمد بن حنبل	كتابه : المسند
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	كتابه : المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
محمد بن يزيد الربعي الشهير بابن ماجه القزويني	كتابه : سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
محمد عبد الرؤوف المناوي	كتابه : التيسير في شرح الجامع الصغير
محمد بن عيسى بن سورة الشهير بالترمذي	كتابه : الجامع **الصحيح** سنن الترمذي
محمد الهادي زيان	كتابه : من اجل بناء الشخصية الإسلامية
محمد أحمد السناريني	كتابه : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثريه حققه وعلّق عليه وشرح غريب الفاظه محمد مفيد بن غزة الخيميً
عبد العزيز بن باز	كتابه : نقد القوميه العربية على ضوء الاسلام والواقع
محمد نمر الخطيب	كتابه : مُرْشِدُ الدعاة
الدكتور محمد علي الصابوني	كتابه : النبوة والأنبياء
	كتابه : مع الأنبياء في القرآن
سليمان بن الأشعث الشهير بابي داوود	كتابه : سنن أبي داود تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
محمد عوامة	كتابه : صفحات في أدب الرأي
محمد بن إسماعيل ابن ابراهيم الشهير بالبخاري	كتابه : الأدب المفرد
سليمان بن أحمد الشهير بالطبراني	كتابه : المعجم الكبير
أحمد بن عبد الله الأصبهاني الشهير بأبي نعيم	كتابه : حلية الأولياء طبقات الأصفياء
الحارث بن أسد المحاسبي	كتابه : العقل وفهم القرآن
محمد الطاهر ابن عاشور	كتابه : تفسير التحرير والتنوير

وحيد الدين خان	كتابه : الشريعة الإسلامية وتحديات العصر ترجمة ظفر الإسلام خان
محمود بن أحمد الزنجاني	كتابه : تخريج الفروع على الأصول تحقيق الدكتور محمد أديب الصالح
الشيخ محمد الدريعي	خطبه : خطبة الجمعة في (١٧/١/١٤١٣)
المبارك بن محمد بن الجزري الشهير بابن الأثير	كتابه : النهاية في غريب الحديث والأثر
عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين	كتابه : الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين
عبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بأبي شامة	كتابه : الباعث على انكار البدع والحوادث
سليمان الأشعث الشهير بأبي داوود	كتابه : سنن أبي داوود
الدكتور مفيد قمحه	كتابه : شرح المعلقات العشر
الدكتور احمد الشرباصي	كتابه : موسوعة أخلاق القرآن
الدكتور عرقسوسي والاستاذ ملا عثمان	كتابهما : ابن سيناء والنفس الانسانية
الدكتور حمود عبد العزيز البدر	كتابه : اسس العلاقات العامة وتطبيقاتها

كتب للمؤلف

* حقوق الطفل في الاسلام باللغتين العربية والانجليزية
* حقوق المرأة في الاسلام باللغتين العربية والانجليزية
* حقوق الانسان في الاسلام باللغتين العربية والانجليزية
* لمحات تاريخية عن توحيد المملكة العربية السعودية باللغتين العربية والانجليزية
* التدخين ـ اضراره ووسائل تجنبه
* المخدرات والمؤثرات العقلية
* خطب ومحاضرات في اضرار التدخين والمخدرات
* الامراض الجنسية وطرق الوقاية منها
* الآفات الثلاث